النَّسَائِمْ

فِي مَدْحِ التَّفَاؤُلِ

وَذَمِّ التَّشَاؤُمْ

تَأْلِيفُ

أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ العَفِيْفِيِّ

تَقْدِيْمُ وَتَقْرِيْظُ

فَضِيْلَةِ الشَّيْخِ مُصْطَفَىٰ بْنِ العَدَوِيِّ

تَقْدِيمٌ وَتَقْرِيظُ

فَضِيلَةِ الشَّيْخِ مُصْطَفَى بْنِ العَدَوِيِّ

بسم الله الرحمن الرحيم

تَقْدِيمٌ

الحَمْدُ للهِ، وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَىٰ رَسُوْلِ اللهِ، **وَبَعْدُ:**

▫ **فَلاَ يَخْفَىٰ مَا للعَقِيْدَةِ مِنْ أَثَرٍ عَلَىٰ العَبْدِ فِي دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ، وَعَلَىٰ أَعْمَالِهِ وَأَقْوَالِهِ.**

فَمِنْ ثَمَّ، وَلَمَّا كَانَ المُعْتَقَدُ الصَّحِيْحُ يَدْفَعُ إِلَىٰ عَمَلٍ صَحِيْحٍ، وَقَوْلٍ صَحِيْحٍ، وَالمُعْتَقَدُ الفَاسِدُ يَدْفَعُ إِلَىٰ عَمَلٍ فَاسِدٍ، وَقَوْلٍ فَاسِدٍ= كَانَ لِزَامًا أَنْ يُهْتَمَّ بِأَمْرِ المُعْتَقَد، وَأَنْ يُصَحَّحَ وَفْقَ مَا جَاءَ فِي كِتَابِ اللهِ- عَزَّ وَجَلَ- وَسُنَّةِ رَسُوْلِهِ ﷺ الثَّابِتَةِ الصَّحِيْحَةِ، وَأَقْوَالِ أَهْلِ العِلْمِ الثِّقَاتِ الأَثْبَاتِ فِي تَفْسِيرِ الآيَاتِ المُبَارَكَاتِ، وَالأَحَادِيْثِ النَّيِّرَاتِ.

هَذَا، وَلاَ يَخْفَىٰ أَنَّ أَبْوَابَ العَقِيْدَةِ كَثِيْرَةٌ تَحْتَاجُ إِلَىٰ مَجْهُوْدٍ لِتَجْلِيَةِ الغَبَشِ عَنْهَا، وَإِزَالَةِ الكَدَرِ الذِي قَدْ يُحِيطُ بِأَفْهَامِ العِبَادِ لَهَا.

وَمِنْ ثَمَّ؛ قَامَ أَخِي مُحَمَّدُ بْنُ العَفِيْفِيِّ - حَفِظَهُ اللهُ- بِبَحْثِهِ هَذَا فِي جُزْئِيَّةٍ مِنْ جُزْئِيَّاتِ العَقِيْدَةِ، وَبَابٍ مِنْ أَبْوَابِها؛ **أَلاَ، وَهِيَ**: ﴿**التَّفَاؤُلُ وَالتَّشَاؤُمُ**﴾؛ فَأَوْرَدَ بَعْضَ الأَقْوَالِ وَالأَحَادِيْثِ فِي هَذَا الصَّدَدِ، وَحَكَمَ عَلَيْهَا بِمَا تَسْتَحِقُّهُ صِحَّةً وَضَعْفًا، وَكَذَا عَدَدًا مِنَ الآثَارِ، وَأَقْوَالِ العُلَمَاءِ.

وَقَدْ رَاجَعْتُ مَعَهُ أَعْمَالَهُ الحَدِيْثِيَّةَ، وَأَحْكَامَهُ؛ فَوَجَدْتُهُ- وَللهِ الحَمْدُ- مُسَدَّدًا- بَارَكَ اللهُ وَوَفَّقَهُ-.

هَذَا، وَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلِّمْ، وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

كَتَبَهُ

أَبُوْ عَبْدِ اللهِ/ مُصْطَفَىٰ بْنُ العَدَوِيِّ

مُقَدِّمَةُ المُؤَلِّفِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ وَحْدَهُ، وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَىٰ مَنْ لاَ نَبِيَّ بَعْدَهُ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ؛ أَمَّا بَعْدُ:

فَهَذِهِ رِسَالَةٌ مُهِمَّةٌ أَحْبَبْتُ أَنْ أُذَكِّرَ بِهَا إِخْوَانِي وَأَحْبَابِي مِنَ المُسْلِمِيْنَ وَالمُسْلِمَاتِ فِي أَرْجَاءِ المَعْمُوْرَةِ فِي قَضِيَّةٍ خَطِيْرَةٍ مِنْ قَضَايَا التَّوْحِيْدِ وَالاعْتِقَادِ؛ أَلاَ وَهِيَ قَضِيَّةُ: «**التَّشَاؤُمِ**».. ذَلِكُمُ الدَّاءُ الخَطِيْرُ الذِي دَمَّرَ الكَثِيْرِيْنَ مِنْ أَفْرَادِ هَذِهِ الأُمَّةِ المَيْمُوْنَةِ. وَنَحْنُ- بِعَوْنِ اللهِ- فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ نَذْكُرُ الدَّاءَ وَالدَّوَاءَ مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ الصَّحِيْحَةِ. وَنَسْأَلُ اللهَ- تَعَالَىٰ- أَنْ يَجْعَلَ هَذَا التَّذْكِيْرَ نَافِعًا صَالِحًا، وَخَالِصًا لِوَجْهِهِ الكَرِيْمِ. وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ. وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

وَكَتَبَهُ / أَبُوْ عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ العَفِيْفِيِّ

تَمْهِيْدٌ

إِنَّ صِحَّةَ العَقِيْدَةِ أَسَاسُ قَبُوْلِ الأَعْمَالِ وَالأَقْوَالِ؛ فَالأَقْوَالُ وَالأَعْمَالُ إِنَّمَا تَصِحُّ وَتُقْبَلُ إِذَا صَدَرَتْ عَنْ عَقِيْدَةٍ صَحِيْحَةٍ، أَمَّا إِذَا كَانَتِ العَقِيْدَةُ غَيْرَ صَحِيْحَةٍ فَسَدَ وَبَطَلَ مَا يَتَفَرَّعُ عَنْهَا مِنْ أَقْوَالٍ وَأَعْمَالٍ.

- قَالَ- تَعَالَىٰ-: ﴿**وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [المَائِدَةُ:٥].
- وَقَالَ- تَعَالَىٰ-: ﴿**وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾ [الأَنْعَامُ:٨٨].
- وَقَالَ- تَعَالَىٰ-: ﴿**وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُوراً**﴾ [الفُرْقَانُ:٢٣].
- بَلْ؛ لَقَدْ قَالَ اللهُ- تَعَالَىٰ لِإِمَامِ المُوَحِّدِيْنَ، وَسَيِّدِ المُتَّقِيْنَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿**وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَىٰ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [الزُّمَرُ:٦٥].

فَمَهْمَا قَدَّمَ العَبْدُ مِنْ أَعْمَالٍ؛ مِنْ صَلاَةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَحَجٍّ، وَجِهَادٍ، وَبِرٍّ، وَصِلَةٍ، وَهُوَ مُشْرِكٌ بِاللهِ فِي عَمَلِهِ؛ فَإِنَّ هَذِهِ الأَعْمَالَ تُرَدُّ عَلَيْهِ وَلاَ تُقْبَلُ؛ بَلْ، وَيَجْعَلُهَا اللهُ هِبَاءً مَنْثُوْرًا، لاَ قِيْمَةَ لَهَا وَلاَ كَرَامَةَ!!

فَرُبَّمَا يِفْعَلُ العَبْدُ كَثِيْرًا مِنَ القُرُبَاتِ وَالطَّاعَاتِ، وَيَجْتَهِدُ فِيْهَا اجْتِهَادًا بَالِغًا؛ لَكِنَّهُ ارْتَكَبَ خِصَالاً شِرْكِيَّةً نَسَفَتْ هَذِهِ الخِصَالُ دِيْنَهُ بِالكُلِّيَّةِ؛ قَالَ- تَعَالَىٰ-: ﴿**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ**﴾ [يُوْسُفُ:١٠٦].

فَيَجِبُ عَلَىٰ العَبْدِ أَنْ يَحْذَرَ الشِّرْكَ كُلَّهُ؛ صَغِيْرَهُ وَكَبِيْرَهُ، وَأَنْ يَخَافَ الوُقُوْعَ فِيْهِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الأَنْبِيَاءَ والمُرْسَلِيْنَ- وَهُمْ أَفْضَلُ البَشَرِ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلاَمُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِيْنَ- كَانُوا يَخَافُوْنَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ مِنَ الشِّرْكِ وَالكُفْرِ؛ فَقَدْ قَالَ شَيْخُ الحُنَفَاءِ خَلِيْلُ اللهِ إِبْرَاهِيْمُ عَلَيْهِ السَّلامُ: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إِبْرَاهِيْمُ:٣٥].

- كَمَا يَجِبُ عَلَىٰ العَبْدِ أَنْ يَتَعَلَّمَ الإِيْمَانَ قَبْلَ أَيِّ شَيْءٍ:

[١] كَمَا قَالَ جُنْدُبُ بْنُ عَبْدِ اللهِ البَجَلِي - رَضِي اللهُ عَنْهُ -: **كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ، «فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ؛ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا»**(١).

○ فَالإِيْمَانُ يَجِبُ أَنْ يَكُوْنَ قَبْلَ كُلِّ شَيءٍ، وَقَبْلَ أَيِّ خُطْوَةٍ، وَالحَيَاةُ لاَ تَقُوْمُ إِلاَّ عَلَىٰ أَسَاسِ الاعْتِقَادِ الصَّحِيْحِ فِي اللهِ، فِي تَصْيِيرِ الأُمُوْرِ كُلِّهَا لَهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ -.

فَالأَمْرُ أَمْرُهُ، وَالمُلْكُ مُلْكُهُ، وَالتَّدْبِيرُ تَدْبِيْرُهُ، وَالتَّصْرِيْفُ تَصْرِيْفُهُ، مُنْتَهَىٰ الأُمُوْرِ كُلِّهَا إِلَيْهِ، وَأَزِمَّةُ الأُمُوْرِ كُلِّهَا بِيَدَيْهِ، يُقَلِّبُ القُلُوْبَ وَالأَبْصَارَ بِتَقْلِيْبِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ.

يَا مَنْ أُلُوْذُ بِهِ فِيْمَا أُؤَمِّلُهُ وَأَسْتَجِيْرُ بِهِ مِمَّا أُحَاذِرُهُ
لاَ يَجْبُرُ النَّاسُ عَظْمًا أَنْتَ كَاسِرُهُ وَلاَ يَهِيْضُوْنَ عَظْمًا أَنْتَ جَابِرُه(٢)

﴿قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [آلُ عِمْرَانَ: ١٥٤].

(١) **سَنَدُهُ صَحِيْحٌ**؛ أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهْ فِي «السُّنَنِ» (رقم: ٦١)، وَالبُخَارِيُّ فِي «التَّارِيْخِ الكَبِيْرِ» (٢/ ٢٢١)، وَقَدْ خَرَّجْتُهُ فِي تَحْقِيْقِي لِكِتَابِ «النُّبُوَّاتِ» لابْنِ تَيْمِيَّةَ (١/ ٢٢٦) ط ابْنِ عَبَّاسٍ.
○ (حَزَاوِرَةٌ) جَمْعُ الحَزْوَرِ، وَهُوَ الغُلاَمُ إِذَا اشْتَدَّ وَقَوِيَ وَحَزَمَ. قَالَهُ مُحَمَّدُ فُؤَادُ عَبْدُ البَاقِي.

(٢) هِيَ مِنْ أَبْيَاتِ المُتَنَبِّي؛ كَمَا فِي «تَفْسِيرِ ابْنِ كَثِيْرٍ» (١/ ١٥).

﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ﴾ [هُوْدُ:١٥٤].

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾ [النَّجْمُ:٤٢].

فَالعَقِيْدَةُ هِيَ أَسَاسُ القَضَايَا بِاتِّفَاقٍ، وَأَهَمُّ المَسَائِلِ عَلَىٰ الإِطْلاَقِ.

○ **لِذَا**؛ عَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ العَقِيْدَةَ الصَّافِيَةَ لِغُلاَمٍ صَغِيْرٍ، أَلاَ وَهُوَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فِي كَلِمَاتٍ مُضِيْئَةٍ نَيِّرَةٍ يَسِيْرَةٍ، يَحْفَظُهَا كُلُّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، وَيَتَعَلَّمُهَا الصَّغِيْرُ وَالكَبِيْرُ، وَهِيَ نِبْرَاسٌ لِلبَشَرِيَّةِ جَمْعَاءَ.

[٢] فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: **كُنْتُ خَلْفَ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلاَمُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»**(١).

---

(١) حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ؛ أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢٦٦٩)، وَالتِّرمِذِيُّ (٢٥١٦)، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ (٦٣٦)، وَلَهُ شَوَاهِدُ كَثِيْرَةٌ. وَقَدْ تَوَسَّعَ فِي شَرْحِهِ وَبَيَانِ طُرُقِهِ الحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ فِي «جَامِعِ العُلُوْمِ وَالحِكَمِ» (٤٩٥) (حَدِيْثُ ١٩)، وَقَالَ: «وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الْحَدِيثُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ طُرُقٍ كَثِيرَةٍ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِهِ عَلِيٍّ وَمَوْلَاهُ عِكْرِمَةَ، وَعَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، وَعَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، وَعُبَيْدِ اللهِ

⇦=

فَلاَ يَجُوْزُ لأَحَدٍ أَنْ يَصْرِفَ العِبَادَةَ بِجَمِيْعِ أَنْوَاعِهَا وَصُوَرِهَا لِغَيْرِ مُسْتَحِقِّهَا وَوَلِيِّهَا، وَهُوَ اللهُ- جَلَّ عُلاَهُ-.

فَلاَ نَذْرَ إِلاَّ للهِ، وَلاَ ذَبْحَ إِلاَّ للهِ، وَلاَ اسْتِغَاثَةَ إِلاَّ بِاللهِ، وَلاَ تَوَكُّلَ إِلاَّ عَلَىٰ اللهِ، وَلاَ حَلِفَ إِلاَّ بِاللهِ.. قَالَ- جَلَّ عُلاَهُ-: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**﴾ [الأَنْعَامُ:١٦٢-١٦٣]، وَقَالَ- تَعَالَىٰ-: ﴿**فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ**﴾ [الكَوْثَرُ:٢].

فَالذَّبْحُ وَالنَّذْرُ وَالاسْتِعَانَةُ وَالاسْتِغَاثَةُ وَطَلَبُ المَدَدِ وَالشِّفَاءِ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ لاَ يَكُوْنُ إِلاَّ مُخْتَصًّا بِاللهِ- تَعَالَىٰ-، لاَ يُصْرَفُ لِنَبِيٍّ، وَلاَ لِوَلِيٍّ، وَلاَ لِمَلَكٍ، وَلاَ لأَيِّ أَحَدٍ.

فَالذِي يَمْلِكُ النَّفْعَ وَالضُّرَّ، وَالمَوْتَ وَالحَيَاةَ، وَالرِّزْقَ هُوَ اللهُ وَحْدَهُ؛ قَالَ- تَعَالَىٰ-: ﴿**وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدُيرٌ**﴾ [الأَنْعَامُ:١٧].



بْنِ عَبْدِاللهِ، وَعُمَرَ مَوْلَىٰ غُفْرَةَ، وَابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ وَغَيْرِهِمْ. وَأَصَحُّ الطُّرُقِ كُلِّهَا طَرِيقُ حَنَشٍ الصَّنْعَانِيِّ الَّتِي خَرَّجَهَا التِّرْمِذِيُّ، كَذَا قَالَ ابْنُ مِنْدَهْ وَغَيْرُهُ».

• وَقَالَ- تَعَالَىٰ- لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿**قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ [الأَعْرَافُ:١٨٨].

فَصَحِّحْ عَقِيْدَتَكَ، وَصَحِّحِيْ إِيْمَانَكِ.

• وَقَالَ- تَعَالَىٰ-: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ**﴾ [البَيِّنَةُ: ٥].

فَقَوْلُهُ: ﴿**مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾؛ أَيْ: مُفْرِدِيْنَ لَهُ الطَّاعَةَ وَالعِبَادَةَ.

قَالَ القَاسِمِيُّ فِي «تَفْسِيْرِهِ»(١):

«فَمَنْ لَمْ يُخْلِصْ للهِ فِي عِبَادَتِهِ، لَمْ يَفْعَلْ مَا أُمِرَ بِهِ؛ بَلِ الذِي أَتَىٰ بِهِ شَيْءٌ غَيْرُ المَأْمُوْرِ؛ فَلاَ يُقْبَلُ مِنْهُ».

[**٣**] وَرَوَىٰ مُسْلِمٌ ﷺ فِي «**الصَّحِيْحِ**»(٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «**قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: أَنَا أَغْنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**».

---

(١) «مَحَاسِنُ التَّأْوِيْلِ» (٦ / ٢٣٣ و٢٣٤).

(٢) فِي «صَحِيْحِهِ» (برقم:٢٩٨٥).

○ وَبَعْدَ هَذِهِ المُقَدِّمَةِ المُهِمَّةِ فِي بَابِ التَّوْحِيْدِ؛ أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَتَوَفَّانَا جَمِيْعًا عَلَيْهِ، وَأَنْ يُلْحِقَنَا بِإِمَامِ المُوَحِّدِيْنَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيْمِ.. إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالقَادِرُ عَلَيْهِ.

○ أَقُوْلُ: إِنَّ صِحَّةَ العَقِيْدَةِ تُسَلِّمُ أَصْحَابَهَا مِنَ الأَمْرَاضِ، وَتُنَجِّيْهِمْ مِنَ الهَلاَكِ وَالشَّقَاءِ؛ بَلْ وَتُسَدِّدُ لَهُمَ الآرَاءَ، وَتَحْفَظُهُمْ - بِلاَ شَكٍّ - مِنَ الشَّكِّ وَالامْتِرَاءِ.

أَمَّا أَصْحَابُ العَقِيْدَةِ السَّقِيْمَةِ الضَّعِيْفَةِ الوَاهِيَةِ؛ فَإِنَّ الأَمْرَاضَ وَالعِلَلَ وَالأَسْقَامَ تُحِيْطُ بِهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ؛ فَتَرَاهُمْ فِي قَلَقٍ مُسْتَمِرٍّ، وَخَوْفٍ مُسْتَقِرٍّ؛ بَلْ وَشَقَاءٍ وَدَمَارٍ، وَهَلاَكٍ وَبَوَارٍ؛ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ - عِيَاذًا بِاللهِ تَعَالَىٰ - !!

مِنْ أَجَلِ ذَلِكَ؛ جَاءَ الإِسْلاَمُ الحَنِيْفُ، وَالدِّيْنُ القَوِيْمُ بِإِبْطَالِ كُلِّ مُعْتَقَدٍ سَقِيْمٍ يُضْعِفُ الرَّأْيَ وَالبَدْنَ وَالدِّيْنَ.

▫ **وَمِنْ تِلْكَ المُعْتَقَدَاتِ الفَاسِدَةِ الكَاسِدَةِ السَّائِدَةِ**، التِي قَلَّمَا يَخْلُوْ مِنْهَا قَلْبُ امْرِيءٍ؛ سَوَاءٌ كَانَ رَجُلاً أَوِ امْرَأَةً، أَوْشَيْخًا أَوْ شَابًّا؛ **مُعْتَقَدٌ فَاسِدٌ ضَارٌّ مُسْتَطِيْرٌ**، مَرَضٌ فَتَّاكٌ، وَدَاءٌ مَرِيْرٌ.. **إِنَّهُ يُضَادُّ التَّوَكُّلَ، وَيُنَافِي الإِيْمَانَ.. إِنَّهُ دَلِيْلٌ عَلَىٰ قِلَّةِ العَقْلِ، وَسَوْءِ الظَّنِّ بِاللهِ.. إِنَّهُ يُؤَدِّي إِلَىٰ**

اضْطِرَابِ النَّفْسِ، وَبَلْبَلَةِ الفِكْرِ.. إِنَّهُ يُؤَدِي إِلَىٰ الفَشَلِ فِي الحَيَاةِ، وَتَعْطِيْلِ المَصَالِحِ، وَتَرْكِ السَّعْي.. إِنَّهُ اعْتِقَادٌ فِي غَيْرِ اللهِ، وَدَعْوَةٌ صَرِيْحَةٌ للكُفْرِ بِالقَضَاءِ وَالقَدَرِ.. إِنَّهُ لاَ يَجْلِبُ للعَبْدِ مَحْبُوْبًا، وَلاَ يَدْفَعُ عَنْهُ مَكْرُوْهًا.. (١).

- أَتَدْرُوْنَ مَا هُوَ هَذَا الدَّاءُ العُضَالِ؟
- أَتَدْرُوْنَ مَا هُوَ هَذَا المُعْتَقَدُ الضَّارُ؟
- أَتَدْرُوْنَ مَا هُوَ المَرَضُ الخَطِيْرُ الذِي وَقَعَ - وَبِكَثْرَةٍ - وَسَرَىٰ فِي جَسَدِ أُمَّةِ البَشِيْرِ النَّذِيْرِ ﷺ؟

(١) «نَضْرَةُ النَّعِيْمِ فِي مَكَارِمِ أَخْلاَقِ الرَّسُوْلِ الكَرِيْمِ ﷺ» (٩/ ٤١٩٩).

إِنَّهُ مَرَضُ «التَّطَيُّرِ وَالتَّشَاؤُمِ»

- فَمَا هُوَ التَّطَيُّرُ- لُغَةً وَاصْطِلاَحًا-؟
- وَمَا هِيَ أَضْرَارُهُ؟
- وَمَا هُوَ حُكْمُهُ؟
- وَأَخِيْرًا: مَا العِلاَجُ؟

هَـذَا مَـا سَـنَتَعَرَّفُ عَلَيْـهِ- بِإِيْجَـازٍ- فِـي هَـذِهِ الرِّسَـالَةِ التِـي أَسْـأَلُ اللهَ- تَعَالَىٰ- بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَىٰ، وَصِفَاتِهِ العُلاَ أَنْ يَنْفَعَ بِهَا أَهْلَ الإِسْلاَمِ؛ إِنَّـهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَمَوْلاَهُ.

◘ مَعْنَىٰ التَّطَيُّرُ لُغَةً وَاصْطِلاَحًا؟ ◘

التَّطَيُّرُ- فِي اللُّغَةِ-:

التَّشَاؤُمُ[1]؛ كَمَا قَالَ ابْنُ مَنْظُوْرٍ- وَغَيْرُهُ-.

وَالطَّائِرُ: الحَظُّ، وَهُوَ الذِي تُسَمِّيْهِ العَرَبُ: البَخْتَ[2].

وَاصْطِلاَحًا؛ هُوَ: التَّشَاؤُمُ بِمَا يُرَىٰ مِنْ مَجِيءِ الطَّيْرِ وَنَحْوِهِ جِهَةَ الشَّمَالِ، أَوْ بِمَا يُسْمَعُ مِنْ صَوْتِ طَائِرٍ.. إِلَخْ.

❍ **وَالمَعْنَىٰ الأَعَمُّ وَالأَشْمَلُ للطِّيَرَةِ:** أَنَّهَا بِمَعْنَىٰ: **(التَّشَاؤُمِ):**

○ **إِمَّا بِمَرْئِيٍّ** : كَأَنْ يَرَىٰ أَحَدُهُمْ طَيْرًا؛ **فَيَتَشَاءَمُ**؛ لِكَوْنِهِ مُوْحِشًا! أَوْ أَنْ يَرَىٰ أَحَدُهُمْ أَعْوَرَ، أَوْ أَعْرَجَ، أَوْ شَيْخًا مَهْزُوْلاً، أَوْ عَجُوْزًا شَمْطَاءَ!

---

(١) وَالطِّيَرَةُ كَانَتْ تُسْتَعْمَلُ فِي التَّفَاؤُلِ وَالتَّشَاؤُمِ؛ لَكِنْ غَلَبَ لَفْظُ (الطِّيَرَةِ) عَلَىٰ (التَّشَاؤُمِ)؛ لأَنَّ الأَثَرَ الحَاصِلَ مِنْ دَلاَلَةِ الطَّيَرَانِ عَلَىٰ الشُّؤْمِ دَلاَلَتُهُ أَشَدُّ عَلَىٰ النَّفْسِ، وَلأَنَّ تَوَقُّعَ الضُّرِّ أَدْخَلُ فِي النُّفُوْسِ مِنْ رَجَاءِ النَّفْعِ. («التَّحْرِيْرُ وَالتَّنْوِيْرُ»١/ ١٦١٩).

(٢) «اللِّسَانُ» (٤/ ٥٠٨)، وَ«الفَتْحُ» (١٠/ ٢١٣).

○ **أَوْ بِمَسْمُوْعٍ**: كَأَنْ يَسْمَعَ أَحَدًا يَقُوْلُ لآخَرَ: يَا خَسْرَانُ، أَوْ يَا شَقِيُّ، أَوْ يَا خَائِبُ، أَوْ يَا مَمْحُوْقُ؛ فَيَتَشَاءَمُ.. !!

وَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا سَمِعَ عِطَاسًا مِنْ شَخْصٍ= تَشَاءَمُ بِهِ، وَكَانَ تَشَاؤُمُهُمْ بِالعَطْسَةِ الشَّدِيْدَةِ أَشَدَّ(١).

○ **أَوْ بِمَعْلُوْمٍ**: كَالتَّشَاؤُمِ بِبَعْضِ الأَيَّامِ، وَالشُّهُوْرِ، وَالسِّنِيْنَ(٢).

.. هَذَا هُوَ المَعْنَىٰ الأَشْمَلُ للتَّطَيُّرِ، وَإِنْ كَانَ أَصْلُهُ؛ **كَمَا قَالَ الحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ**(٣): «وَأَصْلُ التَّطَيُّرِ: أَنَّهُمْ كَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ(٤) يَعْتَمِدُونَ عَلَىٰ الطَّيْرِ؛ فَإِذَا خَرَجَ أَحَدُهُمْ لِأَمْرٍ؛ فَإِنْ رَأَىٰ الطَّيْرَ طَارَ يَمْنَةً تَيَمَّنَ بِهِ وَاسْتَمَرَّ، وَإِنْ رَآهُ طَارَ يَسْرَةً تَشَاءَمَ بِهِ، وَرَجَعَ، وَرُبَّمَا كَانَ أَحَدُهُمْ يُهَيِّجُ الطَّيْرَ لِيَطِيرَ فَيَعْتَمِدُهَا(٥)؛ فَجَاءَ الشَّرْعُ بِالنَّهْيِ عَنْ ذَلِكَ».

---

(١) انْظُرْ: «مِفْتَاحَ دَارِ السَّعَادَةِ» (٢/ ٢٦٢).

(٢) «القَوْلُ المُفِيْدُ عَلَىٰ كِتَابِ التَّوْحِيْدِ» (١/ ٤٥٠)، وَ«شَرْحُ رِيَاضِ الصَّالِحِيْنَ» لابْنِ عُثَيْمِيْنَ (٤/ ٢٠٥).

(٣) «الفَتْحُ» (١٠/ ٢١٢).

(٤) **قَالَ الشَّوْكَانِيُّ فِي «فَتْحِ القَدِيْرِ»** (٤/ ٢٠٤): «وَقَدْ كَانَتِ العَرَبُ أَكْثَرَ النَّاسِ طِيَرَةً وَأَشْقَاهُمْ بِهَا..».

(٥) وَهُوَ مَا يُسَمَّىٰ بِالعِيَافَةِ.

وَقَالَ البَغَوِيُّ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ»:

«الطِّيَرَةُ: مَعْنَاهَا: التَّشَاؤُمُ، يُقَالُ: تَطَيَّرَ الرَّجُلُ طِيَرَةً، كَمَا يُقَالُ: تَخَيَّرْتُ الشَّيْءَ خِيرَةً، وَلَمْ تَجِئِ الْمَصَادِرُ عَلَىٰ هَذَا الْقِيَاسِ غَيْرَهُمَا؛ قَالَ اللهُ-تَعَالَىٰ-: ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ [يَسِ: ١٨]؛ أَيْ: تَشَاءَمْنَا، (قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ) [يَسِ: ١٩]؛ أَيْ: شُؤْمُكُمْ.

وَقَوْلُهُ: ﴿طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللهِ﴾ [الْأَعْرَافُ: ١٣١]؛ أَيْ: حَقُّهُمُ الْمَكْتُوبُ لَهُمْ.

وَطَائِرُ الإِنْسَانِ: مَا طَارَ لَهُ فِي عِلْمِ اللهِ تَعَالَىٰ مِمَّا قُدِّرَ لَهُ.

وَأُخِذَتِ الطِّيَرَةُ مِنَ اسْمِ الطَّيْرِ، **وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ** كَانَتْ تَتَطَيَّرُ بِبُرُوحِ الطَّيْرِ وَسُنُوحِهَا! فَيَصُدُّهُمْ ذَلِكَ عَمَّا يَمَّمُوهُ مِنْ مَقَاصِدِهِمْ!!

فَأَبْطَلَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَكُونَ لِشَيْءٍ مِنْهَا تَأْثِيرٌ فِي اجْتِلابِ نَفْعٍ، أَوْ ضُرٍّ».

نَعَمْ.. كَانَ العَرَبُ يَفْعَلُوْنَ هَذَا، وَكَانَ هَذَا مُسَلَّماً بِهِ عِنْدَهُمْ، وَمِنْ قَوَاعِدِهِمْ، وَأَسَاسِيَّاتِ حَيَاتِهِمْ..!! كَانُوْا يَعْتَقِدُوْنَ فِي اتِّجَاهِ حَرَكَةِ الطَّائِرِ.. وَهَذَا ضَلالٌ وَاضِحٌ، وَانْحِرَافٌ فَاضِحٌ، مُزْرٍ بِأَصْحَابِهِ!!

إِذْ كَيْفَ يُعْقَلُ أَنْ يُعَلِّقَ أَحَدُهُمْ أَمْرَ الحَيَاةِ وَحَاجَاتِهَا بِطَائِرٍ يَذْهَبُ يَمْنَةً أَوْ يَسْرَةً؛ بَلْ وَيُنْسَبُ الخَيْرُ وَالشَّرُّ إِلَيْهِ؟!!

فَلاَ نُطْقَ للطَّيْرِ وَلاَ تَمْيِيْزَ لَهُ حَتَّىٰ يُسْتَدَلَّ بِفِعْلِهِ عَلَىٰ مَضْمُوْنِ مَعْنًىٰ فِيْهِ، وَطَلَبُ العِلْمِ مِنْ غَيْرِ مَظَانِّهِ جَهْلٌ مِنْ فَاعِلِهِ.

◘ تَطَيُّرُ الأُمُمِ السَّابِقَةِ ◘

○ لَقَدْ حَكَىٰ اللهُ- تَعَالَىٰ- تَطَيُّرَ الأُمُمِ السَّابِقَةِ، وَبَيَّنَ ضَلاَلَ هَذَا الاعْتِقَادِ الفَاسِدِ- عِنْدَهُمْ- فِي آيَاتٍ كَرِيْمَاتٍ:

□ **تَطَيُّرُ آلِ فِرْعَوْنَ:**

● قَالَ- تَعَالَىٰ-: ﴿**وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَونَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّن الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يذَّكَّرُونَ ۝ فَإِذَا جَاءتْهُمُ الْحَسَنَةُ(١) قَالُواْ لَنَا هَـذِهِ(٢) وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ**﴾ [الأَعْرَافُ:١٣٠-١٣١].. يَعْنِي: قَالُوْا: مُنْذُ جَاءَنَا مُوْسَىٰ ذَهَبَ الرَّخَاءُ وَالخَصْبُ وَالعَافِيَةُ، وَجَاءَ البَلاَءُ وَالجَدْبُ وَالقَحْطُ.. فَهَذَا مِنْ مُوْسَىٰ وَأَصْحَابِهِ!!

فَرَدَّ اللهُ- تَعَالَىٰ- عَلَيْهِمْ، وَأَبْطَلَ هَذِهِ العَقِيْدَةَ العَوْجَاءَ بِقَوْلِهِ- تَعَالَىٰ-: ﴿**أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللّهِ**﴾؛ أَيْ: أَنَّ مَا يُصِيْبُهُمْ مِنَ الجَدْبِ وَالقَحْطِ لَيْسَ مِنْ مُوْسَىٰ عليه السلام وَقَوْمِهِ، وَلَكِنَّهُ أَمْرٌ قَدَّرَهُ اللهُ وَقَضَاهُ، لاَ عَلاَقَةَ

---

(١) أَيِ: الخَصَبُ وَالسَّعَةُ وَالعَافِيَةُ.

(٢) أَيْ: نَحْنُ الجَدِيْرُوْنَ بِذَلِكَ؛ المُسْتَحِقُّوْنَ لِذَلِكَ.

لِمُوْسَىٰ عليه السلام وَقَوْمِهِ بِهِ.. بَلِ الأَمْرُ يَقْتَضِي أَنَّ مُوْسَىٰ عليه السلام وَقَوْمَهُ سَبَبٌ لِلخَيْرِ وَالبَرَكَةِ وَالسَّعَادَةِ وَالفَلاَحِ.. وَلَكِنَّ هَؤُلاَءِ لَبَّسُوْا عَلَىٰ العَوَامِّ، وَأَوْهَمُوْا النَّاسَ خِلاَفَ الوَاقِعِ وَالحَقِيْقَةِ..!! فَالذِي يُدَبِّرُ الأُمُوْرَ كُلَّهَا هُوَ اللهُ.. فَمَا أَصَابَهُمْ؛ فَلَيْسَ مِنْ مُوْسَىٰ عليه السلام، وَإِنَّمَا ﴿**طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾ [الأَعْرَافُ:١٣١].. أَكْثَرُهُمْ فِي جَهْلٍ وَعَمًىٰ[1].

قَالَ الطَّبَرِيُّ:

«قَوْلُهُ- تَعَالَىٰ-: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [الأَعْرَافُ:١٣١] يَقُولُ- تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: فَإِذَا جَاءَتْ آلَ فِرْعَوْنَ الْعَافِيَةُ وَالْخَصْبُ وَالرَّخَاءُ وَكَثْرَةُ الثِّمَارِ، وَرَأَوْا مَا يُحِبُّونَ فِي دُنْيَاهُمْ. ﴿قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾ [الأَعْرَافُ:١٣١] نَحْنُ أَوْلَىٰ بِهَا.

﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ يَعْنِي: جُدُوبٌ وَقُحُوطٌ وَبَلاَءٌ، ﴿يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ﴾ [الأَعْرَافُ: ١٣١] يَقُوْلُ: يَتَشَاءَمُوْا، وَيَقُولُوْا: ذَهَبَتْ

---

(١) رَاجِعْ «تَفْسِيْرَ» القُرْطِبِيِّ لِهَذِهِ الآيَاتِ (مِنْ «سُوْرَةِ الأَعْرَافِ»:١٣٠-١٣١)، وَ«القَوْلَ المُفِيْدَ» لابْنِ عُثَيْمِيْنَ (١/ ٤٥١)، وَ«فَتْحَ المَجِيْدِ» (٣٢١ و ٣٢٢).

حُظُوظُنَا وَأَنْصِبَاؤُنَا مِنَ الرَّخَاءِ وَالْخَصْبِ وَالْعَافِيَةِ، مُذْ جَاءَنَا مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ».

قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ فِي «الْمُحَرَّرِ الوَجِيْزِ»:

«وَقَوْلُهُ- تَعَالَىٰ-: ﴿أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ﴾ مَعْنَاهُ: حَظُّهُمْ وَنَصِيبُهُمْ؛ قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ زَجْرِ الطَّيْرِ؛ فَسُمِّيَ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ القَدَرِ للإِنْسَانِ طَائِرًا لِمَا كَانَ الإِنْسَانُ يَعْتَقِدُ أَنَّ كُلَّ مَا يُصِيبُهُ إِنَّمَا هُوَ بِحَسَبِ مَا يَرَاهُ فِي الطَّائِرِ».

وَقَالَ القُرْطُبِيُّ:

«﴿أَلا إِنَّما طائِرُهُمْ عِنْدَ اللهِ﴾ يَعْنِي: أَنَّ طَائِرَ الْبَرَكَةِ وَطَائِرَ الشُّؤْمِ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَالنَّفْعِ وَالضُّرِّ مِنَ اللهِ- تَعَالَىٰ- لَا صُنْعَ فِيهِ لِمَخْلُوقٍ».

□ ثَمُوْدُ وَتَطَيُّرُهُمْ:

●● وَقَالَ- تَعَالَىٰ- فِي قِصَّةِ ثَمُوْدَ وَتَشَاؤُمِهِمْ بِنَبِيِّهِمْ صَالِحٍ عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ۝ قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝ قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾[النَّمْلُ:٤٥- ٤٧]؛ أَيْ: تَشَاءَمْنَا

بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ مِمَّنْ أَجَابَكَ وَدَخَلَ فِي دِيْنِكَ، وَذَلِكَ؛ لأَنَّهُ أَصَابَهُمْ قَحْطٌ؛ فَتَشَاءَمُوْا بِصَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ(١).

قَالَ شَيْخُ الإِسْلاَمِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ:

«فَكَانُوا يَقُولُونَ عَمَّا يُصِيبُهُمْ- مِنَ الْحَرْبِ وَالزِّلْزَالِ وَالْجِرَاحِ وَالْقَتْلِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَحْصُلُ مِنَ الْعَدُوِّ-: هُوَ مِنْكَ؛ لِأَنَّكَ أَمَرْتَنَا بِالْأَعْمَالِ الْمُوْجِبَةِ لِذَلِكَ. وَيَقُوْلُوْنَ عَنْ هَذَا وَعَنِ الْمَصَائِبِ السَّمَائِيَّةِ: إِنَّهَا مِنْكَ. أَيْ: بِسَبَبِ طَاعَتِنَا لَكَ وَاتِّبَاعِنَا لِدِيْنِكَ: أَصَابَتْنَا هَذِهِ الْمَصَائِبُ؛ كَمَا قَالَ- تَعَالَىٰ-: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾ [الحَجُّ:١١]؛ فَهَذَا يَتَنَاوَلُ كُلَّ مَنْ جَعَلَ طَاعَةَ الرَّسُوْلِ وَفِعْلَ مَا بُعِثَ بِهِ: مُسَبِّبًا لِشَرٍّ أَصَابَهُ: إِمَّا مِنَ السَّمَاءِ. وَإِمَّا مِنْ آدَمِيٍّ. وَهَؤُلَاءِ كَثِيْرُوْنَ. لَمْ يَقُولُوْا: ﴿هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾ بِمَعْنَىٰ: أَنَّك أَنْتَ الَّذِي أَحْدَثْتَهَا؛ فَإِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ الرَّسُوْلَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يُحْدِثْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، وَلَمْ يَكُنْ قَوْلُهُمْ: ﴿مِنْ عِنْدِكَ﴾ خِطَابًا مِنْ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ؛ بَلْ هُوَ خِطَابٌ لِلرَّسُوْلِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». «مَجْمُوْعُ الفَتَاوَىٰ» (١٤/ ٢٤٩).

---

(١) «فَتْحُ القَدِيْرُ» (٤/ ٢٠٤).

□ **تَطَيُّرُ أَصْحَابِ الْقَرْيَةِ الَّتِي جَاءَهَا الْمُرْسَلُوْنَ:**

●● وَقَالَ- تَعَالَىٰ- فِي قِصَّةِ أَصْحَابِ الْقَرْيَةِ مِنْ سُوْرَةِ يَس، وَقَوْلِهِمْ لِلْمُرْسَلِيْنَ: ﴿**قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ**﴾ [يَس:١٨-١٩].

قَالَ الطَّبَرِيُّ:

«يَقُولُ- تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: قَالَ أَصْحَابُ الْقَرْيَةِ لِلرُّسُلِ: ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ [يَس: ١٨] يَعْنُونَ: إِنَّا تَشَاءَمْنَا بِكُمْ؛ فَإِنْ أَصَابَنَا بَلَاءٌ مِنْ أَجْلِكُمْ.

وَقَوْلُهُ: ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾ [يَس: ١٨] يَقُولُ: لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا عَمَّا ذَكَرْتُمْ مِنْ أَنَّكُمْ أُرْسِلْتُمْ إِلَيْنَا بِالْبَرَاءَةِ مِنْ آلِهَتِنَا، وَالنَّهْيِ عَنْ عِبَادَتِنَا لَنَرْجُمَنَّكُمْ، قِيلَ: عُنِيَ بِذَلِكَ: لَنَرْجُمَنَّكُمْ بِالْحِجَارَةِ.

يَقُولُ- تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: قَالَتِ الرُّسُلُ لِأَصْحَابِ الْقَرْيَةِ: ﴿طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ﴾ [يَس: ١٩] يَقُوْلُوْنَ: أَعْمَالُكُمْ وَأَرْزَاقُكُمْ وَحَظُّكُمْ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ مَعَكُمْ، ذَلِكَ كُلُّهُ فِي أَعْنَاقِكُمْ، وَمَا ذَلِكَ مِنْ شُؤْمِنَا إِنْ أَصَابَكُمْ سُوءٌ فِيمَا كُتِبَ عَلَيْكُمْ، وَسُبِقَ لَكُمْ مِنَ اللهِ».

وَبِإِسْنَادِهِ الحَسَنِ؛ رَوَىٰ عَنْ قَتَادَةَ ﴿أَئِنْ ذَكَرْتُمْ﴾ [يس: ١٩]؛ «أَيْ: إِنْ ذَكَّرْنَاكُمُ اللهَ تَطَيَّرْتُمْ بِنَا؟».

وَقَالَ البَغَوِيُّ فِي «مَعَالِمِ التَّنْزِيْلِ»:

«﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ تَشَاءَمْنَا بِكُمْ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمَطَرَ حُبِسَ عَنْهُمْ، فَقَالُوا: أَصَابَنَا هَذَا بِشُؤْمِكُمْ!.. ﴿قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾ يَعْنِي: شُؤْمُكُم مَعَكُمْ= بِكُفْرِكُمْ وَتَكْذِيبِكُمْ، **يَعْنِي: أَصَابَكُمُ الشُّؤْمُ مِنْ قِبَلِكُمْ**. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالضَّحَّاكُ: حَظُّكُمْ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ ﴿أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ﴾ يَعْنِي: وُعِظْتُمْ بِاللهِ، وَهَذَا اسْتِفْهَامٌ مَحْذُوْفُ الْجَوَابِ مَجَازُهُ: إِنْ ذُكِّرْتُمْ وَوُعِظْتُمْ بِاللهِ؛ تَطَيَّرْتُمْ بِنَا؟!!.. ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ مُشْرِكُونَ مُجَاوِزُونَ الْحَدَّ».

وَقَالَ ابْنُ كَثِيْرٍ:

«وَقَوْلُهُ: ﴿أَئِنْ ذُكِّرْتُم بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾؛ أَيْ: مِنْ أَجْلِ أَنَّا ذَكَّرْنَاكُمْ وَأَمَرْنَاكُمْ بِتَوْحِيدِ اللهِ وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ، قَابَلْتُمُونَا بِهَذَا الْكَلَامِ، وَتَوَعَّدْتُمُونَا وَتَهَدَّدْتُمُونَا؟ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: أَيْ: إِنْ ذَكَّرْنَاكُم بِاللهِ؛ تَطَيَّرْتُم بِنَا؟!؛ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ».

.. **وَالمَعْنَىٰ**: شُؤْمُكُمْ مَعَكُمْ- وَهُوَ كُفْرُهُمْ- مُصَاحِبٌ لَكُمْ وَمُلاَزِمٌ؛ فَمَا يَحْصُلُ لَكُمْ؛ فَإِنَّهُ مِنْكُمْ وَبِسَبِبِكُمْ وَبِسَبَبِ أَعْمَالِكُمْ؛ فَأَنْتُمُ المُتَسَبِّبُوْنَ فِي ذَلِكَ، وَأَعْمَالُكُمْ تَسْتَلْزِمُ وُقُوْعَهُ عَلَيْكُمْ، وَلُزُوْمَهُ بِكُمْ.

فَالشُّؤْمُ يَقَعُ عَلَىٰ مَنْ يَتَشَاءَمُ، جَعَلَ اللهُ مِنْ ذَلِكَ عُقُوْبَةً لَهُ فِي الدُّنْيَا؛ لِسُوْءِ ظَنِّهِ بِاللهِ!

○ فَانْظُرْ إِلَىٰ هَذَا التَّشَاؤُمِ المُزْرِي بِأَصْحَابِهِ.. كَيْفَ أَوْصَلَهُمْ إِلَىٰ حَدِّ التَّشَاؤُمِ بِصَفْوَةِ الخَلْقِ مِنَ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِيْنَ..[1]؟!!

فَلاَ غَرْوَ أَنْ تَرَىٰ إِنْسَانًا إِنْ رَأَىٰ رَجُلاً صَالِحًا تَشَاءَمَ مِنْهُ، أَوْ أَغْمَضَ عَيْنَيْهِ عَنْ رُؤْيَتِهِ.. وَهَذَا وَاقِعٌ مَلْمُوْسٌ؛ فَإِنْ كَانَ هَذَا التَّشَاؤُمُ مِنْ هَؤُلاَءِ فِي حَقِّ خَيْرِ الخَلْقِ؛ فَتَشَاؤُمُهُمْ بِمَنْ دُوْنَهُمْ مِنْ بَابِ أَوْلَىٰ..!!

○ **قَالَ الطَّبَرِيُّ فِي «تَفْسِيْرِهِ»**- عِنْدَ قَوْلِهِ- تَعَالَىٰ-: ﴿**وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ**﴾ [الإِسْرَاءُ:١٣]:

---

(١) ○ وَلاَحِظْ؛ أَنَّ اللهَ- تَعَالَىٰ- لَمْ يَحْكِ التَّطَيُّرَ فِي القُرْآنِ إِلاَّ عَنْ أَعْدَاءِ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ؛ **قَالَ ابْنُ رَجَبٍ فِي «اللَّطَائِفِ»** (ص:٧٨):

«الطِّيَرَةُ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الشِّرْكِ وَالكُفْرِ، وَقَدْ حَكَاهَا اللهُ- تَعَالَىٰ- فِي كِتَابِهِ عَنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ، وَقَوْمِ صَالِحٍ، وَأَصْحَابِ القَرْيَةِ التِي جَاءَهَا المُرْسَلُوْنَ».

« يَقُولُ- تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ مَا قُضِيَ لَهُ أَنَّهُ عَامِلُهُ، وَهُوَ صَائِرٌ إِلَيْهِ مِنْ شَقَاءٍ أَوْ سَعَادَةٍ بِعَمَلِهِ فِي عُنُقِهِ لَا يُفَارِقُهُ. وَإِنَّمَا قَوْلُهُ ﴿أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ﴾ [الإِسْرَاءُ: ١٣] مَثَلٌ لِمَا كَانَتِ الْعَرَبُ تَتَفَاءَلُ بِهِ أَوْ تَتَشَاءَمُ مِنْ سَوَانِحِ الطَّيْرِ وَبَوَارِحِهَا؛ فَأَعْلَمَهُمْ- جَلَّ ثَنَاؤُهُ- أَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ قَدْ أَلْزَمَهُ رَبُّهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ- نَحِسًا كَانَ ذَلِكَ الَّذِي أَلْزَمَهُ مِنَ الطَّائِرِ، وَشَقَاءً يُورِدُهُ سَعِيرًا، أَوْ كَانَ سَعْدًا يُورِدُهُ جَنَّاتِ عَدْنٍ-.. وَكُلَّ إِنْسَانٍ مِنْكُمْ- يَا مَعْشَرَ بَنِي آدَمَ-، أَلْزَمْنَاهُ نَحْسَهُ وَسَعْدَهُ وَشَقَاءَهُ وَسَعَادَتَهُ، بِمَا سَبَقَ لَهُ فِي عِلْمِنَا أَنَّهُ صَائِرٌ إِلَيْهِ، وَعَامِلٌ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فِي عُنُقِهِ، فَلَا يُجَاوِزُ فِي شَيْءٍ مِنْ أَعْمَالِهِ مَا قَضَيْنَا عَلَيْهِ أَنَّهُ عَامِلُهُ، وَمَا كَتَبْنَا لَهُ أَنَّهُ صَائِرٌ إِلَيْهِ، وَنَحْنُ نُخْرِجُ لَهُ إِذَا وَافَانَا كِتَابًا يُصَادِفُهُ مَنْشُورًا بِأَعْمَالِهِ الَّتِي عَمِلَهَا فِي الدُّنْيَا، وَبِطَائِرِهِ الَّذِي كَتَبْنَا لَهُ، وَأَلْزَمْنَاهُ إِيَّاهُ فِي عُنُقِهِ، قَدْ أَحْصَىٰ عَلَيْهِ رَبُّهُ فِيهِ كُلَّ مَا سَلَفَ فِي الدُّنْيَا».

○ **قَالَ الثَّعَالِبِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ»**(١):

«كَانَتِ العَرَبُ تَعْتَقِدُ أَنَّ تِلْكَ الطِّيَرَةَ قَاضِيَةٌ بِمَا يَلْقَىٰ الإِنْسَانُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ؛ فَأَخْبَرَهُمُ اللهُ- تَعَالَىٰ- فِي هَذِهِ الآيَةِ بِأَوْجَزِ لَفْظٍ، وَأَبْلَغِ إِشَارَةٍ أَنَّ

---

(١) «الجَوَاهِرُ الحِسَانُ فِي تَفْسِيرِ القُرْآنِ» لِلثَّعَالِبِيِّ (٢/ ٣٣٤).

جَمِيْعَ مَا يَلْقَىٰ الإِنْسَانُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ قَدْ سَبَقَ بِهِ القَضَاءُ، وَأُلْزِمَ حَظُّهُ وَعَمَلُهُ وَتَكَسُّبُهُ فِي عُنُقِهِ..».

****

التَّشَاؤُمُ .. شُؤْمُهُ وَقُبْحُهُ

○ تَعْرِيْفُ التَّشَاؤُمِ:

قَالَ ابْنُ الأَثِيْرِ:

«الْوَاوُ فِي الشُّؤْمِ هَمْزَةٌ، وَلَكِنَّهَا خُفِّفَتْ؛ فَصَارَتْ وَاوًا، وَغَلَبَ عَلَيْهَا التَّخْفِيْفُ؛ حَتَّىٰ لَمْ يُنْطَقْ بِهَا مَهْمُوْزَةً.

وَالشُّؤْمُ: ضِدُّ اليُمْنِ.

يُقَالُ: تَشَاءَمْتُ بِالشَّيْءِ، وَتَيَمَّنْتُ بِهِ».

وَقَالَ الأَزْهَرِيُّ فِي «تَهْذِيْبِ اللُّغَةِ»:

«وَقِيْلَ للشُّؤْمِ: طَائِرٌ وطَيْرٌ وَطِيَرَةٌ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ كَانَ مِنْ شَأْنِهَا عِيَافَةُ الطَّيْرِ، وَزَجْرُهَا، وَالتَّطَيُّرُ بِبَارِحِهَا وَبِنَعِيْقِ غِرْبَانِهَا، وَأَخْذُهَا ذَاتَ الْيَسَارِ إِذَا أَثَارُوْهَا؛ فَسَمَّوْا الشُّؤْمَ طَيْرًا وَطَائِرًا وَطِيَرَةً؛ لِتَشَاؤُمِهِمْ بِهَا وَبِأَفْعَالِهَا،

فَأَعْلَمَ اللهُ- جَلَّ ثَنَاؤُهُ- عَلَىٰ لِسَانِ رَسُوْلِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ طِيَرَتَهُمْ بِهَا بَاطِلَةٌ، وَقَالَ: **لَا طِيَرَةَ وَلَا هَامَةَ**(١)».

..إِنَّ التَّشَاؤُمَ شَرٌّ وَضَلالٌ، وَضَنْكٌ وَوَبَالٌ.

..وَخَوْفٌ وَهَمٌّ، وَقَلَقٌ وَغَمٌّ!

○ قَالَ ابْنُ القَيِّمِ فِي «مِفْتَاحِ دَارِ السَّعَادَةِ»(٢):

«الطِّيَرَةُ بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ وَإِلْقَاءِ الشَّيْطَانِ وَتَخْوِيْفِهِ وَوَسْوَسِتِهِ، يَكْبُرُ وَيَعْظُمُ شَأْنُهَا عَلَىٰ مَنِ أَتْبَعَهَا نَفْسَهَ، وَاشْتَغَلَ بِهَا، وَأَكْثَرَ الْعِنَايَةَ بِهَا، وَتَذْهَبُ وَتَضْمَحِلُّ عَمَّنْ لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا، وَلَا أَلْقَىٰ إِلَيْهَا بَالَهُ، وَلَا شَغَلَ بِهَا نَفْسَهَ، وَفِكْرَهُ.

وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ كَانَ مُعْتَنِيًا بِهَا، قَائِلاً بِهَا= كَانَتْ إِلَيْهِ أَسْرَعَ مِنَ السَّيْلِ إِلَىٰ مُنْحَدَرٍ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الوَسَاوِسِ فِيمَا يَسْمَعُهُ وَيَرَاهُ وَيُعْطَاهُ، وَيَفْتَحُ لَهُ الشَّيْطَانُ فِيهَا مِنَ المُنَاسَبَاتِ الْبَعِيْدَةِ وَالقَرِيْبَةِ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَىٰ مَا يُفْسِدُ عَلَيْهِ دِيْنَهُ، وَيُنَكِّدُ عَلَيْهِ عَيْشَهُ!

---

(١) صَحِيْحٌ، وَسَيَأْتِي.

(٢) (٢/ ٢٣٠ و٢٣١)- بِتَصَرُّفٍ وَتَلْخِيصٍ-.

.. وَهَذِه حَالُ مَنْ تَقَطَّعَتْ بِهِ أَسْبَابُ التَّوَكُّلِ، وَتَقَلَّصَ عَنْهُ لِبَاسُهُ؛ بَلْ تَعَرَّىٰ مِنْهُ، وَمَنْ كَانَ هَكَذَا؛ فَالبَلَايَا إِلَيْهِ أَسْرَعُ، وَالمَصَائِبُ بِهِ أَعْلَقُ، وَالمِحَنُ لَهُ أَلْزَمُ بِمَنْزِلَةِ صَاحِبِ الدُّمَّلِ وَالقُرْحَةِ الذِي يُهْدِي إِلَىٰ قُرْحَتِهِ كُلَّ مُؤْذٍ، وَكُلَّ مُصَادِمٍ؛ فَلَا يَكَادُ يُصْدَمُ مِنْ جَسَدِهِ، أَوْ يُصَابُ غَيْرَهَا.

وَالمُتَطَيِّرُ مُتْعَبُ الْقَلْبِ، مُنَكَّدُ الصَّدْرِ، كَاسِفُ البَالِ، سَيِّءُ الْخُلُقِ، يَتَخَيَّلُ مِنْ كُلِّ مَا يَرَاهُ أَوْ يَسْمَعُهُ، أَشَدُّ النَّاسِ خَوْفًا، وَأَنْكَدُهُمْ عَيْشًا، وَأَضْيَقُ النَّاسِ صَدْرًا، وَأَحْزَنُهُمْ قَلْبًا، كَثِيْرُ الِاحْتِرَازِ وَالمُرَاعَاةِ لِمَا لَا يَضُرُّهُ وَلَا يَنْفَعُهُ، وَكَمْ قَدْ حَرَمَ نَفْسَهُ بِذَلِكَ مِنْ حَظٍّ، وَمَنَعَهَا مِنْ رِزْقٍ، وَقَطَعَ عَلَيْهَا مِنْ فَائِدَةٍ»!!

○ **وَمِنْ بَدِيْعِ مَا قَالَ ابْنُ عُثَيْمِيْنَ** رَحِمَهُ اللَّهُ(١):

«المُتَطَيِّرُ لاَ يَخْلُوْ مِنْ حَالَيْنِ:

الأَوَّلُ: أَنْ يُحْجِمَ وَيَسْتَجِيْبَ لِهَذِهِ الطِّيَرَةِ، وَيَدَعَ العَمَلَ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ التَّطَيُّرِ وَالتَّشَاؤُمِ.

الثَّانِي: أَنْ يَمْضِيَ؛ لَكِنْ فِي قَلَقٍ وَهَمٍّ وَغَمٍّ، يَخْشَىٰ مِنْ تَأْثِيرِ هَذَا المُتَطَيَّرِ بِهِ، وَهُوَ أَهْوَنُ.

---

(١) «القَوْلُ المُفِيْدُ» (١/ ٤٥٠ و٤٥١).

وَكِلاَ الأَمْرَيْنِ نَقْصٌ فِي التَّوْحِيْدِ، وَضَرَرٌ عَلَىٰ العَبِيْدِ».

وَأَمَّا مَنْ لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا - يَعْنِي: الطِّيَرَةَ -، وَلَمْ يُلْقِ إِلَيْهَا بَالَهُ، وَلَمْ يَشْغَلْ نَفْسَهُ بِهَا وَلاَ فِكْرَهُ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يَذْهَبُ عَنْهُ وَيَضْمَحِلُّ(١).

○ وَقَدْ شَفَىٰ النَّبِيُّ ﷺ أُمَّتَهُ فِي أَمْرِ الطِّيَرَةِ لَمَّا سُئِلَ عَنْهَا:

[٤] كَمَا فِي «**صَحِيْحِ** مُسْلِمٍ(٢) عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ، قَالَ: **قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أُمُورًا كُنَّا نَصْنَعُهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، كُنَّا نَأْتِي الْكُهَّانَ، قَالَ: «فَلَا تَأْتُوا الْكُهَّانَ»، قَالَ: قُلْتُ: كُنَّا نَتَطَيَّرُ قَالَ: «ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُهُ أَحَدُكُمْ فِي نَفْسِهِ، فَلَا يَصُدَّنَّكُمْ»**؛ أَيْ: فَلاَ يَصْرِفَنَّهُ عَنْ حَاجَتِهِ(٣).

قَالَ النَّوَوِيُّ:

«مَعْنَاهُ:

---

(١) **وَقَالَ البَغَوِيُّ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ»:**

«وَيُقَالُ: الطِّيَرَةُ أَنْ يَخْرُجَ لأَمْرٍ؛ فَإِذَا رَأَىٰ مَا يُحِبُّ مَضَىٰ، وَإِنْ رَأَىٰ مَا يَكْرَهُ انْصَرَفَ. فَأَمَّا مَا يَقَعُ فِي قَلْبِهِ مِنْ مَحْبُوبِ ذَلِكَ وَمَكْرُوهِهِ؛ فَلَيْسَ بِطِيَرَةٍ، إِذَا مَضَىٰ لِحَاجَتِهِ، وَتَوَكَّلَ عَلَىٰ رَبِّهِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنْ مَضَيْتَ؛ فَمُتَوَكِّلٌ، وَإِنْ نَكَصْتَ؛ فَمُتَطَيِّرٌ. وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: قَالَ عَبْدُ اللهِ: لَا تَضُرُّ الطِّيَرَةُ إِلا مِنْ تَطَيَّرَ».

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيْحِ» (برقم:٥٣٧) عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الحَكَمِ السُّلَمِيِّ ﷺ.

(٣) رَاجِعْ: «مَعَارِجَ القَبُوْلِ» (٣/ ٩٩٠).

أَنَّ كَرَاهَةَ ذَلِكَ تَقَعُ فِي نُفُوسِكُمْ فِي العَادَةِ، وَلَكِنْ لاَ تَلْتَفِتُوْا إِلَيْهِ، وَلاَ تَرْجِعُوْا عَمَّا كُنْتُمْ عَزَمْتُمْ عَلَيْهِ قَبْلَ هَذَا»(١).

وَقَالَ النَّوَوِيُّ - أَيْضًا -:

«قَالَ الْعُلَمَاءُ: مَعْنَاهُ: أَنَّ الطِّيَرَةَ شَيْءٌ تَجِدُوْنَهُ فِي نُفُوْسِكُمْ ضَرُوْرَةً، وَلَا عَتَبَ عَلَيْكُمْ فِي ذَلِكَ؛ فَإِنَّهُ غَيْرُ مُكْتَسَبٍ لَكُمْ؛ فَلَا تَكْلِيفَ بِهِ، وَلَكِنْ لَا تَمْتَنِعُوا بِسَبَبِهِ مِنَ التَّصَرُّفِ فِي أُمُورِكُمْ؛ فَهَذَا هُوَ الَّذِي تَقْدِرُونَ عَلَيْهِ، وَهُوَ مُكْتَسَبٌ لَكُمْ؛ فَيَقَعُ بِهِ التَّكْلِيفُ؛ فَنَهَاهُمْ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْعَمَلِ بِالطِّيَرَةِ وَالِامْتِنَاعِ مِنْ تَصَرُّفَاتِهِمْ بِسَبَبِهَا، وَقَدْ تَظَاهَرَتِ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيْحَةُ فِي النَّهْيِ عَنِ التَّطَيُّرِ، وَالطِّيَرَةُ هِيَ مَحْمُولَةٌ عَلَىٰ الْعَمَلِ بِهَا، لَا عَلَىٰ مَا يُوجَدُ فِي النَّفْسِ مِنْ غَيْرِ عَمَلٍ عَلَىٰ مُقْتَضَاهُ عِنْدَهُمْ»(٢).

○ **فَالإِنْسَانُ إِذَا فَتَحَ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَابَ التَّشَاؤُمِ، ضَاقَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا، وَصَارَ يَتَخَيَّلُ كُلَّ شَيْءٍ أَنَّهُ شُؤْمٌ.**

---

(١) فِي «شَرْحِهِ لِمُسْلِمٍ» (١٤/ ٢٢٣).

(٢) فِي «شَرْحِهِ لِمُسْلِمٍ» (٥/ ٢٢، ٢٣).

مِنْ صُوَرِ التَّشَاؤُمِ

هُنَاكَ صُوَرٌ كَثِيْرَةٌ مِنْ صُوَرِ التَّشَاؤُمِ، سَبَقَ بَعْضُهَا فِي تَعْرِيْفِ التَّطَيُّرِ، وَسَوْفَ أَعْرِضُ- لَكَ- هُنَا بَعْضًا آخَرَ مِنْهَا؛ كَيْ نَحْذَرَهَا وَنَتَجَنَّبَهَا.

● **أَعْجَبُ هَذِهِ الصُّوَرِ وَأَنْكَرُهَا؛ أَنْ تَرَىٰ أَحَدَهُمْ يَتَشَاءَمُ مِنْ كِتَابِ اللهِ، أَوْ إِذَا قَرَأَ بَعْضَ آيَاتِهِ الكَرِيْمَةِ!**

إِنْ فَتَحَ المُصْحَفَ؛ فَوَافَقَ آيَةَ بِشَارَةٍ= اسْتَبْشَرَ وَتَيَمَّنَ وَفَرِحَ!

وَإِنْ فَتَحَهُ؛ فَوَافَقَ آيَةَ عَذَابٍ وَوَعِيْدٍ= تَشَاءَمَ!!

وَالقُرْآنُ كُلُّهُ خَيْرٌ، وَبَرَكَةٌ، وَهُدًىٰ، وَنُوْرٌ، وَبَصَائِرُ، وَرَحْمَةٌ؛ فَكَيْفَ يُسَوِّغُ هَؤُلاَءِ لأَنْفُسِهِمْ أَنْ يَتَعَامَلُوْا مَعَ كِتَابِ اللهِ المَجِيْدِ بِهَذِهِ الطَّرِيْقَةِ الخَاسِرَةِ؟!!

● **وَمِنْهَا: التَّشَاؤُمُ بِرُؤْيَةِ أَشْخَاصٍ مُعَيَّنِيْنَ**.. فَقَدْ يَرَىٰ إِنْسَانٌ شَخْصًا بِعَيْنٍ وَاحِدَةٍ؛ فَيَتَشَاءَمُ! وَيَقُوْلُ: اليَوْمُ يَوْمُ سُوْءٍ..!! وَيُغْلِقُ دُكَّانَهُ، وَيُوْقِفُ تِجَارَتَهُ، وَيَتْرُكُ بَيْعَهُ وَشِرَاءَهُ.. وَهَكَذَا يَظَلُّ فِي شَقَاءٍ وَعَنَاءٍ..!!

● **وَمِنْهَا: التَّشَاؤُمُ بِأَيَّامٍ مُعَيَّنَةٍ**.. فَتَرَىٰ أَحَدَهُمْ يَتَشَاءَمُ بِيَوْمِ الجُمُعَةِ! وَهُوَ خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيْهِ الشَّمْسُ، أَوْ بِيَوْمِ الأَرْبِعَاءِ؛ زَاعِمًا أَنَّ فِيهِمَا سَاعَةَ نَحْسٍ وَشُؤْمٍ!!

وَهَذَا سَبٌّ قَبِيْحٌ وَمُحَرَّمٌ للزَّمَانِ!

[٥] فَفِي «**الصَّحِيْحَيْنِ**»(١) مِنْ حَدِيْثِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: **قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ اللهُ- عَزَّ وَجَلَّ-: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»**.

وَفِي رِوَايَةٍ- لِهُمَا، وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ-(٢): «**عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَقُولُ: يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ فَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ؛ فَإِنِّي أَنَا الدَّهْرُ، أُقَلِّبُ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ، فَإِذَا شِئْتُ قَبَضْتُهُمَا**».

وَقَوْلُهُ- تَعَالَىٰ-: «**وَأَنَا الدَّهْرُ**»؛ **قَالَ الحَافِظُ**:

«مُحَصَّلُ مَا قِيلَ فِي تَأْوِيلِهِ ثَلَاثَةُ أَوْجُهٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: **إِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ**؛ أَيِ: الْمُدَبِّرُ لِلْأُمُورِ.

(١) أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ (٤٨٢٦)، وَمُسْلِمٌ (٢٢٤٦).

(٢) أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ (٦١٨٢)، وَمُسْلِمٌ (٢٢٤٦).

ثَانِيْهَا: أَنَّهُ عَلَىٰ حَذْفِ مُضَافٍ؛ أَيْ صَاحِبُ الدَّهْرِ.

ثَالِثُهَا: التَّقْدِيْرُ: مُقَلِّبُ الدَّهْرِ، وَلِذَلِكَ عَقَّبَهُ بِقَوْلِهِ: **بِيَدِيَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ**».

ثُمَّ قَالَ:

«وَقَالَ عِيَاضٌ: زَعَمَ بَعْضُ مَنْ لَا تَحْقِيقَ لَهُ أَنَّ الدَّهْرَ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ، وَهُوَ غَلَطٌ؛ فَإِنَّ الدَّهْرَ مُدَّةُ زَمَانِ الدُّنْيَا». «الفَتْحُ» (١٠/ ٥٦٥).

فَالدَّهْرُ لاَ دَخْلَ لَهُ فِي الحَوَادِثِ؛ بَلِ المُقَدِّرُ هُوَ اللهُ، وَرَبُّ الدَّهْرِ هُوَ المُعْطِي المَانِعُ، الخَافِضُ الرَّافِعُ، المُعِزُّ المُذِلُّ، وَالدَّهْرُ لَيْسَ لَهُ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ؛ فَمَسَبَّتُهُمْ لِلْدَّهْرِ مَسَبَّةٌ للهِ- جَلَّ عُلاَهُ-!

قَالَ النَّوَوِيُّ:

«قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَسَبَبُهُ؛ أَنَّ الْعَرَبَ كَانَ شَأْنُهَا أَنْ تَسُبَّ الدَّهْرَ عِنْدَ النَّوَازِلِ وَالْحَوَادِثِ وَالْمَصَائِبِ النَّازِلَةِ بِهَا مِنْ مَوْتٍ أَوْ هَرَمٍ أَوْ تَلَفِ مَالٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ! فَيَقُولُونَ: يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ، وَنَحْوُ هَذَا مِنْ أَلْفَاظِ سَبِّ الدَّهْرِ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ؛ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ**)؛ أَيْ: لَا تَسُبُّوا فَاعِلَ النَّوَازِلِ؛ فَإِنَّكُمْ إِذَا سَبَبْتُمْ فَاعِلَهَا وَقَعَ السَّبُّ عَلَىٰ اللهِ- تَعَالَىٰ-؛ لِأَنَّهُ هُوَ فَاعِلُهَا وَمُنْزِلُهَا.

وَأَمَّا الدَّهْرُ الَّذِي هُوَ الزَّمَانُ؛ فَلَا فِعْلَ لَهُ؛ بَلْ هُوَ مَخْلُوقٌ مِنْ جُمْلَةِ خَلْقِ اللهِ- تَعَالَىٰ- وَمَعْنَىٰ: (**فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ**)؛ أَيْ: فَاعِلُ النَّوَازِلِ وَالحَوَادِثِ، وَخَالِقُ الكَائِنَاتِ، وَاللهُ أَعْلَمُ». «شَرْحُ مُسْلِمٍ» (١٥/ ٣).

● **وَمِنْهَا: التَّشَاؤُمُ بِأَشْهُرٍ مُعَيَّنَةٍ.. فَكَانَ مِنْهُمْ مَنْ يَتَشَاءَمُ بِشَهْرِ شَوَّالٍ،** لاسِيَّمَا فِي أَمْرِ الزَّوَاجِ؛ فَقَدْ قِيلَ: إِنَّ طَاعُونًا وَقَعَ فِي شَوَّالٍ فِي سَنَةٍ مِنَ السِّنِيْنَ؛ فَمَاتَ فِيْهِ كَثِيْرٌ مِنَ العَرَائِسِ.. فَتَشَاءَمَ أَهْلُ الجَاهِلِيَّةِ بِذَلِكَ!! لَكِنَّ أُمَّ المُؤْمِنِيْنَ عَائِشَةَ ﵂ نَقَضَتْ هَذَا المُعْتَقَدَ الذِي كَانَ مَوْجُوْدًا فِي الجَاهِلِيَّةِ.

[٦] فَفِي «صَحِيْحِ» مُسْلِمٍ[١] عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: «**تَزَوَّجَنِي رَسُوْلُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شَوَّالٍ، وَبَنَىٰ بِي فِي شَوَّالٍ، فَأَيُّ نِسَاءِ رَسُوْلِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ أَحْظَىٰ عِنْدَهُ مِنِّي؟**»، **قَالَ**: «**وَكَانَتْ عَائِشَةُ تَسْتَحِبُّ أَنْ تُدْخِلَ نِسَاءَهَا فِي شَوَّالٍ**».

قَالَ النَّوَوِيُّ:

«قَصَدَتْ عَائِشَةُ بِهَذَا الْكَلَامِ رَدَّ مَا كَانَتِ الْجَاهِلِيَّةُ عَلَيْهِ، وَمَا يَتَخَيَّلُهُ بَعْضُ الْعَوَامِّ الْيَوْمَ مِنْ كَرَاهَةِ التَّزَوُّجِ وَالتَّزْوِيجِ وَالدُّخُوْلِ فِي شَوَّالٍ!

---

(١) (برقم:١٤٢٣).

وَهَذَا بَاطِلٌ لَا أَصْلَ لَهُ، **وَهُوَ مِنْ آثَارِ الْجَاهِلِيَّةِ كَانُوا يَتَطَيَّرُوْنَ بِذَلِكَ**؛ لِمَا فِي اسْمِ شَوَّالٍ مِنَ الْإِشَالَةِ وَالرَّفْعِ». «شَرْحُ مُسْلِمٍ» (٩/ ٢٠٩).

● **وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَتَشَاءَمُ بِشَهْرِ صَفَرَ!** وَيَقُوْلُ: إِنَّهُ شَهْرٌ مَشْؤُوْمٌ؛ **قَالَ ابْنُ رَجَبٍ فِي «اللَّطَائِفِ**[١]»:

«وَكَثِيْرٌ مِنَ الجُهَّالِ يَتَشَاءَمُ بِصَفَرَ، وَرُبَّمَا يَنْهَىٰ عَنِ السَّفَرِ فِيْهِ، وَالتَّشَاؤُمُ بِصَفَرَ هُوَ مِنْ جِنْسِ الطِّيَرَةِ المَنْهِيِّ عَنْهَا».

فَأَبْطَلَ النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ.

○ نَهْيُ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ التَّطَيُّرِ ○

[٧] فَفِي «**الصَّحِيْحَيْنِ**»[٢] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، يَقُوْلُ: **قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ عَدْوَىٰ وَلاَ طِيَرَةَ، وَلاَ هَامَةَ وَلاَ صَفَرَ، وَفِرَّ مِنَ المَجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الأَسَدِ»**.

فَهَذِهِ الأَشْيَاءُ المَذْكُوْرَةُ وَالتِي كَانَ الجَاهِلِيُّوْنَ يُعَانُوْنَهَا وَيُمَارِسُوْنَهَا أُمُوْرٌ بَاطِلَةٌ.. وَأَنَّهُ لاَ تَأْثِيْرَ لَهَا.

---

(١) (ص:٨١).

(٢) أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ (٥٧١٧)، وَمُسْلِمٌ (٢٢٢٠).

○ **قَالَ صَاحِبُ «فَتْحِ المَجِيْدِ»**(١): «وَقَدِ اخْتَلَفَ العُلَمَاءُ في مَعْنَىٰ ذَلِكَ، وَأَحْسَنُ مَا قِيْلَ فِيْهِ؛ قَوْلُ البَيْهَقِيِّ، وَتَبِعَهُ ابْنُ الصَّلاَحِ، وَابْنُ القَيِّمِ، وَابْنُ رَجَبٍ، وَابْنُ مُفْلِحٍ، وَغَيْرُهُمْ أَنَّ قَوْلَهُ: «**لاَ عَدْوَىٰ**» عَلَىٰ الوَجْهِ الذِي يَعْتَقِدُهُ أَهْلُ الجَاهِلِيَّةِ مِنْ إِضَافَةِ الفِعْلِ إِلَىٰ غَيْرِ اللهِ- تَعَالَىٰ-، وَأَنَّ هَذِهِ الأُمُوْرَ تُعْدِي بِطَبْعِهَا، وَإِلاَّ؛ فَقَدْ يَجْعَلُ اللهُ بِمَشِيْئَتِهِ مُخَالَطَةَ الصَّحِيْحِ مَنْ بِهِ شَيْءٌ مِنَ الأَمْرَاضِ سَبَبًا لِحُدُوْثِ ذَلِكَ، وَلِهَذَا قَالَ: «**وَفِرَّ مِنَ المَجْذُوْمِ؛ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الأَسَدِ**»، وَقَالَ: «**لاَ يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَىٰ مُصِحٍّ**»، وَقَالَ- فِي الطَّاعُوْنِ-: «**مَنْ سَمِعَ بِهِ فِي أَرْضٍ فَلاَ يَقْدَمُ عَلَيْهَا**»، وَذَلِكَ بِتَقْدِيْرِ اللهِ- تَعَالَىٰ-.

● وَقَوْلَهُ: «**وَلاَ طِيَرَةَ**» نَهْيٌ عَنِ التَّشَاؤُمِ بِالطِّيَرَةِ. وَقِيْلَ: هُوَ نَفْيٌ، وَالنَّفْيُ أَبْلَغُ مِنَ النَّهْيِ- هُنَا-؛ لأَنَّ النَّفْيَ يَدُلُّ عَلَىٰ بُطْلاَنِ ذَلِكَ، وَعَدَمِ تَأْثِيْرِهِ، وَالنَّهْيُ إِنَّمَا يَدُلُّ عَلَىٰ المَنْعِ مِنْهُ.

(١) (ص:٣٢٤ وَمَا بَعْدَهَا- بِتَصَرُّفٍ وَتَلْخِيْصٍ-).

● وَقَوْلُهُ: «**وَلاَ هَامَةَ**»(١) بِتَخْفِيْفِ المِيْمِ عَلَىٰ الصَّحِيْحِ؛ قَالَ الفَرَّاءُ: الهَامَةُ: طَيْرٌ مِنْ طُيُوْرِ اللَّيْلِ؛ كَأَنَّهُ يَعْنِي: البُوْمَةَ.

● وَقَوْلَهُ: «**لاَ صَفَرَ**» بِفَتْحِ الفَاءِ، رَوَىٰ أَبُوْ عُبَيْدَةَ فِي «**غَرِيْبِ الحَدِيْثِ**» عَنْ رُؤْبَةَ أَنَّهُ قَالَ: هِيَ حَيَّةٌ تَكُوْنُ فِي البَطْنِ تُصِيْبُ المَاشِيَةَ وَالنَّاسَ، وَهِيَ أَعْدَىٰ مِنَ الجَرَبِ عِنْدَ العَرَبِ.

وَقَالَ آخَرُوْنَ: المُرَادُ بِهِ شَهْرُ صَفَرَ، وَالنَّفْيُ لِمَا كَانَ أَهْلُ الجَاهِلِيَّةِ يَفْعَلُوْنَهُ مِنَ النَّسِيْءِ، وَكَانُوْا يُحِلُّوْنَ المُحَرَّمَ، وَيُحَرِّمُوْنَ صَفَرَ مَكَانَهُ. وَقِيْلَ(٢): إِنَّ أَهْلَ الجَاهِلِيَّةِ يَتَشَاءَمُوْنَ بِصَفَرَ، وَيَقُوْلُوْنَ: إِنَّهُ شَهْرٌ مَشْؤُوْمٌ؛ فَأَبْطَلَ النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ». اهـ.

● **وَمِنْهَا: التَّشَاؤُمُ بِكَلِمَاتٍ، أَوْ حَرَكَاتٍ، وَأَصْوَاتٍ مُعَيَّنَةٍ..**

فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَشَاءَمُ مِنْ ذِكْرِ كَلِمَةِ «المُوْتِ»!! **أَوْ** مِنْ رَفِيْفِ العَيْنِ، **أَوْ** مِنْ كَثْرَةِ الضَّحِكِ، **أَوْ** صَفِيْرِ الأُذُنِ!!

---

(١) الهَامَةُ: طَيْرٌ مِنْ طَيْرِ اللَّيْلِ، رُبَّمَا تَكُوْنُ البُوْمَةَ. كَانُوْا يَتَشَاءَمُوْنَ بِهَا، إِذَا وَقَعَتْ عَلَىٰ بَيْتِ أَحَدِهِمْ يَقُوْلُ: سَأَمُوْتُ، أَوْ سَيَمُوْتُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِي؛ فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ بِنَفْيِ ذَلِكَ وَإِبْطَالِهِ.

● رَاجِع: «المَعَارِجَ» للحَكَمِيِّ (٣/ ٩٩١)- ط ابْنِ القَيِّمِ-، (بَابَ الكَلاَمِ عَلَىٰ الطِّيَرَةِ).

(٢) وَرَجَّحَ هَذَا القَوْلَ العَلاَّمَةُ ابْنُ عُثَيْمِيْنَ فِي «القَوْلِ المُفِيْدِ» (١/ ٤٥٤).

● **وَمِنْهَا: التَّشَاؤُمُ بِعَدَمِ النَّجَاحِ، وَالفَشَلِ مَرَّةً تِلْوَ مَرَّةً.. فَمِنَ النَّاسِ** مَنْ إِذَا حَاوَلَ الأَمْرَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ تَشَاءَمَ بِأَنَّهُ لَنْ يَنْجَحَ فِيهِ! أَوْ إِذَا شَرَعَ فِي عَمَلٍ مَا ثُمَّ حَصَلَ لَهُ فِي أَوَّلِهِ تَعَثُّرٌ تَرَكَهَ..!! وَالذِي يَنْبَغِي عَلَىٰ المُسْلِمِ هُوَ أَنْ يُحَاوِلَ وَيُجَاهِدَ فِي مَا يَرَاهُ مَصْلَحَةً، وَمَا دَامَ يَعْلَمُ أَنَّ فِي هَذَا الأَمْرِ خَيْرًا؛ حَتَّىٰ يَفْتَحَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَلاَّ يَدَعَهُ تَشَاؤُمًا، أَوْ تَقَاعُسًا، أَوْ يَأْسًا.. فَلاَ يَجْعَلْ لِلتَّشَاؤُمِ عَلَيْهِ سُلْطَانًا. وَكَمْ مِنْ إِنْسَانٍ لَمْ يُوَفَّقْ فِي العَمَلِ أَوَّلَ مَرَّةٍ؛ فَلَمَّا حَاوَلَ وَكَابَدَ وَاجْتَهَدَ فُتِحَ عليه.

فَهَذَا الكِسَائِيُّ- إِمَامُ النَّحْوِ- طَلَبَ عِلْمَ النَّحْوِ عِدَّةَ مَرَّاتٍ؛ لَكِنَّهُ لَمْ يُوَفَّقْ؛ فَبَيْنَمَا هُوَ فِي يَوْمٍ مِنَ الأَيَّامِ إِذْ رَأَىٰ نَمْلَةً تَحْمِلُ نَوَاةَ تَمْرٍ؛ فَتَصْعَدُ بِهَا إِلَىٰ الجِدَارِ؛ فَتَسْقُطُ؛ حَتَّىٰ كَرَرَتْ ذَلِكَ عِدَّةَ مَرَّاتٍ؛ لَمْ تَيْأَسْ؛ حَتَّىٰ صَعِدَتْ بِهَا بَعْدَ مُحَاوَلاَتٍ إِلَىٰ الجِدَارِ وَتَجَاوَزَتْهُ؛ فَقَالَ: سُبْحَانَ اللهِ!! هَذِهِ النَّمْلَةُ تُكَابِدُ هَذِهِ النَّوَاةَ؛ حَتَّىٰ نَجَحَتْ؛ فَلأُكَابِدَنَّ عِلْمَ النَّحْوِ؛ حَتَّىٰ أَنْجَحَ؛ فَكَابَدَ وَصَابَرَ؛ حَتَّىٰ صَارَ إِمَامَ أَهْلِ الكُوفَةِ فِي النَّحْوِ[1].

---

(١) «كِتَابُ العِلْمِ» لابْنِ عُثَيْمِينَ (ص:٣٨) نَقَلَ ذَلِكَ عَنْ شَيْخِهِ السَّعْدِيِّ رَحِمَهُ اللهُ.

○ **نَعَمَ** .. مَنْ جَدَّ وَجَدَ، وَمَنْ لازَمَ وَصَلَ، وَمَنْ صَبَرَ ظَفَرَ، وَحُسْنُ الصَّبْرِ طَلِيْعَةُ الظَّفَرِ.. **قَالَ بَعْضُهُمْ**(١):

لاَ تَيْأَسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مُطَالَبَةٌ..إِذَا اسْتَعَنْتَ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَىٰ فَرَجَا

فَأَخْلِقْ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْظَىٰ بِحَاجَتِهِ..وَمُدْمِنِ القَرْعِ للأَبْوابِ أَنْ يَلِجَا

○ **نَعَمْ**.. لِكُلِّ مُجْتَهِدٍ نَصِيْبٌ.. وَأَجْرُكَ عَلَىٰ قَدْرِ نَصَبِكَ؛ فَلاَبُدَّ أَنْ تَبْذُلَ، وَلاَ تَتَقَاعَسَ، وَلاَ تَتَكَاسَلَ، وَلاَ تَتَشَاءَمَ.

لاَ تَقُلْ: لَقَدْ حَاوَلْتُ كَثِيْرًا أَنْ أَسْلُكَ طَرِيْقَ الهِدَايَةِ؛ فَلَمْ أَنْجَحْ؛ بَلْ أَنَا شَاعِرٌ بِالفَشَلِ دَائِماً..!! لاَ؛ بَلْ صَابِرْ، وَجَاهِدْ، وَأَلِحَّ عَلَىٰ اللهِ، وَتَضَرَّعْ إِلَيْهِ؛ فَمَنْ دَاوَمَ الطَّرْقَ عَلَىٰ بَابِ المَلِكَ فُتِحَ لَهُ..

فَاللهُ يُرِيْدُ مِنْكَ أَنْ تُلِحَّ عَلَيْهِ، وَأَنْ تُنَاجِيَهُ بِقَلْبٍ تَائِبٍ أَوَّاهٍ مُنِيْبٍ.

.. **فَلاَ تَيْأَسْ**، وَلاَ تَقْنَطْ؛ فَالقُنُوْطُ سَبِيْلُهُ الفَشَلُ وَالضَّيَاعُ وَالهَلاَكُ، وَلاَ تَجْعَلْ لِلْقُنُوْطِ وَلاَ لِلتَّشَاؤُمِ عَلَيْكَ سَبِيْلاً؛ لأَنَّهُ مُنَكِّدٌ لِلعَيْشِ؛ مُنَغِّصٌ لِلحَيَاةِ؛ قَالَ- تَعَالَىٰ-: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا**

---

(١) «الشِّعْرُ وَالشُّعَرَاءُ» لابْنِ قُتَيْبَةَ (٢/ ٨٧٩)، وَ«أَدَبُ الدُّنْيَا» لِلمَاوَرْدِيِّ، وَالأَبْيَاتُ فِي «دِيْوَانِ الحِمْيَرِيِّ» (٤٩).

تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزُّمَرُ:٥٣].

.. «تَرَىٰ الْمُتَشَائِمَ يَرْجُوْ، وَاليَأْسُ عَلَيْهِ أَغْلَبُ.. وَيَأْمُلُ وَالخَوْفُ إِلَيْهِ أَقْرَبُ.

فَإِذَا عَاقَهُ القَضَاءُ، وَخَانَهُ الرَّجَاءُ.. جَعَلَ الطِّيَرَةَ عُذْرَ خَيْبَتِهِ.. وَغَفَلَ عَنْ قَضَاءِ اللهِ وَمَشِيْئَتِهِ»(١).

****

(١) «أَدَبُ الدُّنْيَا وَالدِّيْنِ» للمَاوَرْدِيِّ (٤٠١).

○ إِغْلاَقُ بَابِ التَّطَيُّرِ ○

وَقَدْ جَاءَ الإِسْلاَمُ بِإِغْلاَقِ بَابِ التَّطَيُّرِ أَمَامَ العَبْدِ، وَالقَضَاءِ عَلَىٰ أَسْبَابِهِ:

[٨] فَرَوَىٰ مُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيْحِ**»(١) عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ، قَالَ: **قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَحَبُّ الْكَلاَمِ إِلَىٰ اللهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، لاَ يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ، وَلاَ تُسَمِّيَنَّ غُلاَمَكَ: يَسَارًا، وَلاَ رَبَاحًا، وَلاَ نَجِيحًا، وَلاَ أَفْلَحَ؛ فَإِنَّكَ تَقُولُ: أَثَمَّ هُوَ؟ فَلاَ يَكُونُ؛ فَيَقُولُ: لاَ»**. إِنَّمَا هُنَّ أَرْبَعٌ؛ فَلاَ تَزِيدُنَّ عَلَيَّ.

.. لأَنَّهُ رُبَّمَا كَانَ طَرِيْقًا إِلَىٰ التَّشَاؤُمِ(٢).

---

(١) (برقم:٢١٣٧).

● **قَالَ النَّوَوِيُّ**: «وَلَيْسَ فِيهِ مَنْعُ الْقِيَاسِ عَلَىٰ الْأَرْبَعِ وَأَنْ يَلْحَقَ بِهَا مَا فِي مَعْنَاهَا؛ قَالَ أَصْحَابُنَا: يُكْرَهُ التَّسْمِيَةُ بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْحَدِيثِ وَمَا فِي مَعْنَاهَا، وَلَا تَخْتَصُّ الْكَرَاهَةُ بِهَا وَحْدَهَا، وَهِيَ كَرَاهَةُ تَنْزِيْهٍ لاَ تَحْرِيْمٍ. **وَالْعِلَّةُ فِي الْكَرَاهَةِ**= مَا بَيَّنَهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ: (فَإِنَّكَ تَقُولُ: أَثَمَّ هُوَ؟ فَيَقُولُ: لا)؛ فَكَرِهَ؛ لِبَشَاعَةِ الجَوَابِ، وَرُبَّمَا أَوْقَعَ بَعْضَ النَّاسِ فِي شَيْءٍ مِنَ الطِّيَرَةِ». «شَرْحُ صَحِيْحِ مُسْلِمٍ» للنَّوَوِيِّ (١٤/ ١١٩).

(٢) «مَنَارُ السَّبِيْلِ» لابْنِ ضُوْيَانَ (١/ ٢٢٦).

قَالَ البَغَوِيُّ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ»(١):

«**مَعْنَىٰ هَذَا**: أَن النّاس إِنَّمَا يَقْصِدُوْنَ بِهَذِهِ الْأَسْمَاء التَّفَاؤُل بِحُسْنِ أَلْفَاظِهَا وَمَعَانِيْهَا، وَرُبَّمَا يَنْقَلِبُ عَلَيْهِم مَا قَصَدُوْهُ إِلَىٰ الضِّدِّ إِذَا سَأَلُوا وَقَالُوْا: أَثَّمَ يَسَارٌ أَوْ نَجِيْحٌ؛ فَقِيْلَ: لَا؛ فَتَطَيَّرُوْا بِنَفْيِهِ، وَأَضْمَرُوْا الْإِيَاسَ مِنَ الْيُسْرِ وَالنَّجَاحِ؛ فَنَهَاهُمْ عَنِ السَّبَبِ الَّذِي يَجْلِبُ سُوْءَ الظَّنِّ، وَالإِيَاسَ مِنَ الْخَيْرِ».

○ **وَمِنْ هَذَا البَابِ- أَعْنِي: إِغْلَاقَ بَابِ التَّطَيُّرِ-:**

[٩] مَا أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «**مُسْنَدِهِ**»، وَأَبُوْ دَاوُدَ فِي «**السُّنَنِ**»- وَغَيْرُهُمَا(٢) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «**إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَىٰ عَنْ قَتْلِ أَرْبَعٍ مِنَ الدَّوَابِّ:** ....

---

(١) (١٢/ ٣٣٨).

(٢) **حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ**؛ أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٣٢٤٢)، وَأَبُوْ دَاوُدَ (٥٢٦٧)، وَالبَيْهَقِيُّ (١٩٤٠٣، ١٩٤٠٤) مِنْ طَرِيْقِ: الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

قَالَ يَحْيَىٰ- ابْنُ سَعِيْدٍ الْقَطَّانُ-: وَرَأَيْتُ فِي كِتَابِ سُفْيَانَ: عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي لَبِيدٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ. كَذَا فِي «المُسْنَدِ»، وَفِي «العِلَلِ»- أَيْضًا- لِأَحْمَدَ (٤١٨٧).

=⇐

النَّمْلَةِ، وَالنَّحْلَةِ، وَالْهُدْهُدِ، وَالصُّرَدِ(١)».



وَفِي «التَّارِيخِ الكَبِيْرِ» لابْنِ أَبِي خَيْثَمَةَ (٨٨٠): «قَالَ يَحْيَىٰ: فَكَانَ هَذَا الْحَدِيْثُ عِنْدِي ضَعِيْفًا؛ فَمَحَوْتُه؛ حَتَّىٰ رَأَيْتُهُ فِي كِتَابٍ عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي لَبِيْدٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، مِثْلَ هَذَا».

قَالَ البَيْهَقِيُّ:

«وَحَدِيثُ عُبَيدِ اللهِ بن عَبدِ اللهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضيَ الله عَنهمَا أَقْوَىٰ مَا وَرَدَ فِي هَذَا البَابِ».

وَرَاجِعْ كَلامَ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ في «العِلَلِ» (٢٣٧٤ و٢٤١٦)، وَالدَّارَقُطْنِيِّ في «العِلَلِ» (١٩١٢).

(١) **قَالَ الْجَوْهَرِيُّ:** «وَيُقَالُ هُوَ: الوَاقِ، بِكَسْرِ الْقَافِ بِلَا يَاءٍ؛ لأَنَّهُ سُمِّيَ بِذَلِكَ؛ لِحِكَايَةِ صَوْتِهِ». «لِسَانُ العَرَبِ» (١٥/ ٤٠٥).

وَقَالَ ابْنُ الأَثِيرِ فِي «النِّهَايَةِ» (٣/ ٢١،٢٢): «الصُّرَدُ هُوَ: طَائِرٌ ضَخْمُ الرَّأْسِ وَالمِنْقَارِ، لَهُ رِيْشٌ عَظِيمٌ، نِصْفُه أَبْيَضُ، وَنِصْفُهُ أَسْوَدُ.

قَالَ الْخَطَّابِيُّ: إِنَّمَا جَاءَ فِي قَتْلِ النَّمَلِ عَنْ نَوْعٍ مِنْهُ خَاصٍّ، وَهُوَ الكِبَارُ ذَوَاتُ الأَرْجُلِ الطِّوَالِ؛ لِأَنَّهَا قَلِيْلَةُ الأَذَىٰ وَالضَّرَرِ.

وَأَمَّا النَّحْلَةُ؛ فَلِمَا فِيْهَا مِنَ المَنْفَعَةِ، وَهُوَ العَسَلُ وَالشَّمْعُ.

وَأَمَّا الهُدْهُدُ وَالصُّرَدُ؛ فَلِتَحْرِيمِ لَحْمِهِمَا؛ لأَنَّ الحَيَوَانَ إِذَا نُهِيَ عَنْ قَتْلِهِ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لاحْتِرَامِهِ، أَوْ لِضَرَرٍ فِيْهِ كَانَ لِتَحْرِيْمِ لَحْمِهِ. أَلاَ تَرَىٰ أَنَّهُ نُهِي عَنْ قَتْلِ الحَيَوَانِ لِغَيْرِ مَأْكَلَةٍ.

وَيُقَالُ: إِنَّ الهُدْهُدَ مُنْتِنُ الرِّيحِ؛ فَصَارَ فِي مَعْنَىٰ الجَلاَّلَةِ، **وَالصُّرَدَ تَتَشَاءَمُ بِهِ العَرَبُ، وَتَتَطَيَّرُ بِصَوْتِهِ وَشَخْصِهِ!**. وَقِيْلَ: إِنَّمَا كَرِهُوْهُ مِنَ اسْمِهِ، مِنَ التَّصْرِيْدِ، وَهُوَ: التَّقْلِيْلُ».

قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ:

«أَمَّا **الصُّرَدُ**؛ فَهُوَ أَنَّهُ **كَانَتِ العَرَبُ تَتَشَاءَمُ بِهِ**؛ فَنَهَىٰ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَتْلِهِ؛ لِيَخْلَعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ مَا ثَبَتَ فِيهَا لَهُ مِنَ اعْتِقَادِ الشُّؤْمِ»[1].

قَالَ المَاوَرْدِيُّ[2]:

«اعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَضَرَّ بِالرَّأْيِ، وَلَا أَفْسَدَ لِلتَّدْبِيرِ مِنَ اعْتِقَادِ الطِّيَرَةِ، وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ خُوَارَ بَقَرَةٍ، أَوْ نَعِيبَ غُرَابٍ يَرُدُّ قَضَاءً! أَوْ يَدْفَعُ مَقْدُورًا!! فَقَدْ جَهِلَ».

○ وَلَكِنَّ الأَمْرَ لاَ يَقْتَصِرُ عَلَىٰ مُجَرَّدِ الوُقُوعِ فِي الجَهْلِ فَقَطْ، وَإِنَّمَا الأَمْرُ أَخْطَرُ مِنْ ذَلِكَ بِكَثِيرٍ؛ **فَمَا حُكْمُ التَّشَاؤُمِ وَالتَّطَيُّرِ؟**

****

(١) «عَارِضَةُ الأَحْوَذِيِّ» (٦/ ٢٧٧)، ورَاجِعْ: «نَيْلَ الأَوْطَارِ» (٨/ ٢٠٠).

(٢) «أَدَبُ الدُّنْيَا وَالدِّيْنِ» (ص:٣٩٩).

○ حُكْمُ التَّشَاؤُمِ وَالتَّطَيُّرِ ○

جاءَ- فِي بَعْضِ الآثَارِ- أَنَّ هَذَا الاعْتِقَادَ مِنْ قَبِيْلِ السِّحْرِ، وَهُوَ مِنْ نَفْثِ الشَّيْطَانِ وَإِضْلاَلِهِ؛ حَتَّىٰ يَصْرِفَ النَّاسَ عَنِ الوَاحِدِ الأَحَدِ.

.. وَذَلِكَ؛ لأَنَّ الإِنْسَانَ حِيْنَ يَتطَايَرُ؛ فَإِنَّهُ يَعْتَمِدُ عَلَىٰ أَمْرٍ لاَ حَقِيْقَةَ لَهُ، وَلَيْسَ أَمْرًا حِسِّيًّا، وَلاَ شَرْعِيًّا، وَلاَ مَعْقُوْلاً، وَمَنِ اعْتَمَدَ عَلَىٰ أَمْرٍ خَفِيٍّ لاَ حَقِيْقَةَ لَهُ، عُدَّ ذَلِكَ مِنَ السِّحْرِ؛ لأَنَّ السِّحْرَ شَيْءٌ وَأَمْرٌ خَفِيٌّ، لاَ يَجُوْزُ الاعْتِمَادُ عَلَيْهِ، وَالطَّيْرُ تَجْرِي بِقَدَرٍ.

[١٠] وَبِالسَّنَدِ الضَّعِيْفِ(١) عَنْ قَبِيصَةَ بْنِ الْمُخَارِقِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الْعِيَافَةَ (٢)،..........................

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢٠٦٠٣)، وَأَبُوْ دَاوُدَ (٣٩٠٧)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (٢/ ٣٧١)، وَعَبْدُ الرَّزَّاقِ (١٠/ ٤٠٣) عَنْ قَبِيصَةَ بْنِ الْمُخَارِقِ ﷺ.

● **قُلْتُ**: وَفِي إِسْنَادِهِ حَيَّانُ بْنُ العَلاَءِ- وَيُقَالُ: ابْنُ مُخَارِقٍ- أَبُو الْعَلاَءِ، وَهُوَ مَجْهُوْلٌ.

(٢) أَرَادَ بِالْعِيَافَةِ: زَجْرَ الطَّيْرِ- للتَّفَاؤُلِ-.

وَالطِّيَرَةَ، وَالطَّرْقَ[1] **مِنَ الْجِبْتِ**». أَيْ: مِنَ أَعْمَالِ السِّحْرِ، وَقِيلَ: مِنَ الشَّيْطَانِ، وَكَمَا أَنَّ السِّحْرَ مُحَرَّمٌ؛ فَهَذِهِ الأَشْيَاءُ كَذَلِكَ.

فَالتَّطَيُّرُ يُنَافِي التَّوْحِيدَ، وَلاَ يَلْتَقِي مَعَهُ؛ فَلَقَدِ اعْتَمَدَ الْمُتَطَيِّرُ عَلَىٰ غَيْرِ اللهِ، وَرَبَطَ قَلْبَهُ بِغَيْرِ اللهِ، وَهَذَا ضِدُّ التَّوَكُّلِ، وَاللهُ يَقُولُ: ﴿**فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾ [هُودٌ:١٢٣].

لَقَدْ تَعَلَّقَ الْمُتَطَيِّرُ بِأَمْرٍ لاَ حَقِيقَةَ لَهُ؛ أَشْبَهَ بِالخَيَالِ؛ بَلْ هُوَ الوَهَمُ وَالخَيَالُ؛ فَأَيُّ رَابِطَةٍ بَيْنَ هَذَا الأَمْرِ وَبَيْنَ مَا يَحْصُلُ لَهُ..؟!! وَهَذَا قَادِحٌ فِي التَّوْحِيدِ، وَالتَّوْحِيدُ عِبَادَةٌ وَاسْتِعَانَةٌ، وَقَدْ قَالَ- سُبْحَانَهُ-: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ [الفَاتِحَةُ:٥].

○ **قَالَ ابْنُ القَيِّمِ فِي «مِفْتَاحِ دَارِ السَّعَادَةِ» (٢/ ٢٦٤):**

«الطِّيَرَةُ إِذَا اسْتَعْمَلَهَا الإِنْسَانُ؛ فَرَجَعَ بِهَا مِنْ سَفَرِهِ، وَامْتَنَعَ بِهَا مِمَّا عَزَمَ عَلَيْهِ؛ فَقَدْ قَرَعَ بَابَ الشِّرْكِ؛ بَلْ وَلَجَهُ، وَبَرِيءَ مِنَ التَّوَكُّلِ عَلَىٰ اللهِ،

---

[1] قَالَ عَوْفُ بْنُ أَبِي جَمِيْلَةَ- أَحَدُ الرُّوَاةِ-: وَالطَّرْقُ: الْخَطُّ يُخَطُّ فِي الْأَرْضِ.

وَقَالَ البَغَوِيُّ: «وَالطَّرْقُ: هُوَ الضَّرْبُ بِالْحَصَىٰ، وَأَصْلُ الطَّرْقِ: الضَّرْبُ، وَمِنْهُ سُمِّيَتْ مِطْرَقَةُ الصَّائِغِ وَالْحَدَّادِ، لأَنَّهُ يَطْرِقُ بِهَا.

وَقَالَ ابْنُ سِيرِينَ: الْجِبْتُ: السَّاحِرُ، وَالطَّارِقُ: الْكَاهِنُ». «شَرْحُ السُّنَّةِ» (١٢/ ١٧٧).

وَفَتَحَ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَابَ الخَوْفِ، وَالتَّعَلُّقِ بِغَيْرِ اللهِ، وَالتَّطَيُّرِ مِمَّا يَرَاهُ أَوْ يَسْمَعُهُ، وَذَلِكَ قَاطِعٌ لَهُ عِنْدَ مَقَامِ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وَ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾، وَ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾؛ فَيَصِيرُ قَلْبُهُ مُتَعَلِّقًا بِغَيْرِ اللهِ عِبَادَةً، وَتَوَكُّلاً؛ فَيَفْسَدُ عَلَيْهِ قَلْبُهُ وَإِيْمَانُهُ وَحَالُهُ، وَيَبْقَىٰ هَدَفًا لِسَهَامِ الطِّيَرَةِ، وَيُسَاقُ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ، وَيُقَيِّضُ لَهُ الشَّيْطَانُ مِنْ ذَلِكَ مَا يُفْسِدُ عَلَيْهِ دِيْنَهُ وَدُنْيَاهُ!! وَكَمْ هَلَكَ بِذَلِكَ وَخَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ».

فَمَنْ صَدَّهُ التَطَيُّرُ وَالتَّشَاؤُمُ عَنْ مَقْصِدِهِ، وَعَنِ القِيَامِ بِحَاجَتِهِ، وَعَنِ الإِقْدَامِ عَلَىٰ سَفَرِهِ؛ فَقَدْ وَقَعَ فِي الشِّرْكِ المُنَافِي للتَّوْحِيْدِ لِخَالِقِهِ؛ إِذْ إِنَّهُ لاَ تَأْثِيْرَ لِهَذَا المُتَطَايَرِ بِهِ فِي جَلْبِ نَفْعٍ، أَوْ دَفْعِ ضُرٍّ، وَمَنِ اعْتَقَدَ أَنَّ هَذَا الشَّيْءَ يَجْلِبُ نَفْعًا، أَوْ يَدْفَعُ ضُرًّا؛ فَقَدْ أَشْرَكَ بِاللهِ- سُبْحَانَهُ-.

○ **قَالَ الحَافِظُ فِي «الفَتْحِ»**[1]:

«وَإِنَّمَا جُعِلَ ذَلِكَ شِرْكًا؛ لِاعْتِقَادِهِمُ أَنَّ ذَلِكَ يَجْلِبُ نَفْعًا، أَوْ يَدْفَعُ ضُرًّا؛ فَكَأَنَّهُمْ أَشْرَكُوهُ مَعَ اللهِ- تَعَالَىٰ-».

---

(١) (١٠/ ٢١٣).

[١١] وَفِي «سُنَنِ» التِّرْمِذِيِّ، وَأَبِي دَاوُدَ، وَابْنِ مَاجَهْ- وَغَيْرِهِمْ-[١] مِنْ حَدِيْثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنْ رَسُوْلِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

---

[١] حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ؛ أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٣٦٨٧،٤١٩٤)، وَالبُخَارِيُّ في «الأَدَبِ المُفْرَدِ» (٩٠٩)، وَأَبُوْ دَاوُدَ (٣٩١٠)، وَالتِّرْمِذِيُّ (١٦١٤)، وَابْنُ مَاجَهْ (٣٥٢٨)، وَالطَّيَالِسِيُّ (٣٥٤)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (٢٨٠٨٢)، وَابْنُ خُزَيْمَةَ (٣٥٠١) مِنْ طَرِيْقِ: عِيسَىٰ بْنِ عَاصِمٍ، عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قُلْتُ: وَعِيسَىٰ بْنُ عَاصِمٍ، الأَسَدِيُّ، ثِقَةٌ، وَقَالَ البُخَارِيُّ: «سَمِعَ زِرًّا، سَمِعَ مِنْهُ سَلَمَةُ بْنُ كُهَيْلٍ».

وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ في «السُّنَنِ»:

«هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ سَلَمَةَ بْنِ كُهَيْلٍ، وَرَوَىٰ شُعْبَةُ- أَيْضًا- عَنْ سَلَمَةَ هَذَا الحَدِيثَ، سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ يَقُولُ: «كَانَ سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ يَقُولُ فِي هَذَا الحَدِيثِ: وَمَا مِنَّا، وَلَكِنَّ اللهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ»؛ قَالَ سُلَيْمَانُ: هَذَا عِنْدِي قَوْلُ عَبْدِ اللهِ ابْنِ مَسْعُودٍ: وَمَا مِنَّا».

وَقَالَ في «العِلَلِ الكَبِيْرِ»:

«سَأَلْتُ مُحَمَّدًا عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ؛ فَقَالَ: عِيسَىٰ بْنَ عَاصِمٍ سَكَنَ أَرْمِينِيَةَ. سَمِعَ مِنْهُ سَلَمَةُ بْنُ كُهَيْلٍ قَدِيمًا وَجَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ وَقَعَ بِهَا فَسَمِعَ مِنْهُ شَيْئًا، وَلَا أَعْلَمُ أَحَدًا رَوَىٰ عَنْهُ غَيْرُهُمَا، وَرَوَىٰ مُعَاوِيَةُ عَنْهُ شَيْئًا؛ فَكَأَنَّهُ لَمْ يَعُدَّهُ سَمَاعًا مِنْهُ. قَالَ مُحَمَّدٌ: وَكَانَ سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ يُنْكِرُ هَذَا الْحَدِيثَ أَنْ يَكُوْنَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِهَذَا الْحَرْفِ: «وَمَا مِنَّا»، وَكَانَ يَقُولُ: هَذَا كَأَنَّهُ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَوْلُهُ».

⇦=

«**الطِّيَـرَةُ شِـرْكٌ، الطِّيَـرَةُ شِـرْكٌ**»، ثَلَاثًـا، «وَمَـا مِنَّـا إِلَّا، وَلَكِـنَّ اللهَ يُذْهِبُـهُ بِالتَّوَكُّلِ».

.. أَيْ: وَمَا مِنَّا إِلاَّ وَقَعَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَيَعْتَرِيْهِ هَـذَا التَّطَيُّرُ وَالتَّشَاؤُمُ بِالشَّيْءِ، وَحَذَفَ تَتِمَّةَ الكَلاَمِ؛ لِمَا يَتَضَـمَّنُهُ الكَـلاَمُ مِنَ الحَالَـةِ المَكْرُوْهَةِ، وَهَذَا مِنْ أَدَبِ الكَلاَمِ.

«**وَلَكِنَّ اللهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ**»..أَيْ: حِيْنَ يَتَوَكَّلُ العَبْدُ عَلَىٰ اللهِ، وَيُسَلِّمُ الأَمْرَ إِلَيْهِ، وَلَمْ يَعْمَلْ بِذَلِكَ الخَاطِرِ؛ بَلْ وَتَسْبِقُ إِلَىٰ قَلْبِهِ الكَرَاهَةُ يُذْهِبُ اللهُ عَنْهُ ذَلِكَ، وَلاَ يُؤَاخِذُهُ بِهِ.-«النِّهَايَةُ» لابْنِ الأَثِيْرِ-.

 =

وَقَالَ الحَافِظُ فِي «الفَتْحِ» (١٠/ ٢١٣):

«قَوْلُهُ: (وَمَا مِنَّا إِلَّا) مِنْ كَلَامِ ابْنِ مَسْعُودٍ أُدْرِجَ فِي الْخَبَرِ، وَقَدْ بَيَّنَهُ سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ شَيْخُ الْبُخَارِيِّ فِيمَا حَكَاهُ التِّرْمِذِيُّ عَنِ الْبُخَارِيِّ عَنْهُ. وَإِنَّمَا جُعِلَ ذَلِكَ شِرْكًا؛ لِاعْتِقَادِهِمْ أَنَّ ذَلِكَ يَجْلِبُ نَفْعًا أَوْ يَدْفَعُ ضُرًّا؛ فَكَأَنَّهُمْ أَشْرَكُوهُ مَعَ اللهِ تَعَالَىٰ.

وَقَوْلُهُ: (وَلَكِنَّ اللهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ) إِشَارَةٌ إِلَىٰ أَنَّ من وقع لَهُ ذَلِك؛ فَسَلَّمَ لِلَّهِ، وَلَمْ يَعْبَأْ بِالطِّيَرَةِ أَنَّهُ لَا يُؤَاخَذُ بِمَا عَرَضَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ».

وَقَالَ النَّوَوِيُّ:

«**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ**؛ أَيِ: اعْتِقَادُ أَنَّهَا تَنْفَعُ أَوْ تَضُرُّ؛ إِذْ عَمِلُوا بِمُقْتَضَاهَا مُعْتَقِدِيْنَ تَأْثِيْرَهَا؛ فَهُوَ شِرْكٌ؛ لأَنَّهُمْ جَعَلُوا لَهَا أَثَرًا فِي الْفِعْلِ وَالْإِيجَادِ». «شَرْحُ مُسْلِمٍ» (١٤/ ٢١٩).

● **قَالَ الخَطَّابِيُّ فِي «المَعَالِمِ»:**

«قَوْلُهُ: (وَمَا مِنَّا إِلاَّ) مَعْنَاهُ إِلاَّ مَنْ يَعْتَرِيْهِ التَّطَيُّرُ، وَسَبَقَ إِلَىٰ قَلْبِهِ الكَرَاهَةُ فِيْهِ؛ فَحُذِفَ اخْتِصَارًا للكَلاَمِ، وَاعْتِمَادًا عَلَىٰ فَهْمِ السَّامِعِ».

● **وَقَالَ الإِمَامُ البَيْهَقِيُّ فِي «الشُّعَبِ»:**

«يُرِيدُ- وَاللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَمُ-: الطِّيَرَةُ شِرْكٌ عَلَىٰ مَا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَعْتَقِدُونَ فِيهَا، ثُمَّ قَالَ: وَمَا مِنَّا إِلاَّ، يُقَالُ: هَذَا مِنْ قَوْلِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَلَيْسَ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَقَوْلُهُ: وَمَا مِنَّا إِلاَّ وَقَعَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ عِنْدَ ذَلِكَ عَلَىٰ مَا جَرَتْ بِهِ الْعَادَةُ، وَقَضَتْ بِهِ التَّجَارِبُ؛ لَكِنَّهُ لاَ يُقِرُّ فِيهِ، بَلْ يُحْسِنُ اعْتِقَادَهُ أَنْ لاَ مُدَبِّرَ سِوَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ؛ فَيَسْأَلُ اللهَ الْخَيْرَ، وَيَسْتَعِيذُ بِهِ مِنَ الشَّرِّ، وَيَمْضِي عَلَىٰ وَجْهِهِ؛ مُتَوَكِّلاً عَلَىٰ اللهِ- عَزَّ وَجَلَّ-».

● **وَقَالَ ابْنُ عُثَيْمِيْنَ فِي «القَوْلِ المُفِيْدِ» (١/ ٤٦٣):**

«مَا مِنَّا إِنْسَانٌ يَسْلَمُ مِنَ التَّطَيُّرِ؛ فَالإِنْسَانُ يَسْمَعُ شَيْئًا؛ فَيَتَشَاءَمُ؛ أَوْ يَبْدَأُ فِي فِعْلٍ؛ فَيَجِدُ أَوَّلَهُ لَيْسَ بِالسَّهْلِ؛ فَيَتَشَاءَمُ وَيَتْرُكُهُ، وَالتَّوَكُّلُ صِدْقُ الاعْتِمَادِ عَلَىٰ اللهِ فِي جَلْبِ المَنَافِعِ، وَدَفْعِ المَضَارِّ مَعَ الثِّقَةِ بِاللهِ».

[١٢] وَفِي «**المُعْجَمِ الكَبِيْرِ**» للطَّبَرَانِيِّ، وَ«**مُسْنَدِ**» البَزَّارِ **بِإِسْنَادٍ فِيْهِ ضَعْفٌ**[١] مِنْ حَدِيْثِ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، أَنَّهُ رَأَىٰ رَجُلاً فِي عَضُدِهِ حَلْقَةً

---

[١] أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ (١٨/ ١٦٢)، وَالبَزَّارُ؛ كَمَا فِي «البَحْرِ الزَّخَارِ» (٣٥٧٨) مِنْ طَرِيْقِ: إِسْحَاقَ بْنِ الرَّبِيعِ أَبِي حَمْزَةَ الْعَطَّارِ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ بِهِ.

قُلْتُ: وَفِيْهِ أَبُوْ حَمْزَةَ العَطَّارُ، مُخْتَلَفٌ فِيهِ، وَضَعَّفَهُ الفَلاَّسُ، وَابْنُ عَدِيٍّ، وَفِي سَمَاعِ الحَسَنِ مِنْ عِمْرَانَ خِلاَفٌ. وَيَبْدُو أَنَّ الأَكْثَرَ عَلَىٰ نَفْيِ سَمَاعِهِ مِنْهُ، خِلاَفًا لِمَا قَالَهُ الحَاكِمُ، وَقَدْ عَنْعَنَهُ الحَسَنُ- هُنَا.

وَأَيْضًا؛ ثَمَّ خِلاَفٌ عَلَىٰ الحَسَنِ فِي وَقْفِهِ وَرَفْعِهِ؛ كَمَا جَاءَ مُخْتَصَرًا مُقْتَصِرًا عَلَىٰ قِصَّةِ الوَاهِنَةِ فَقَطْ. كَمَا عِنْدَ عَبْدِ الرَّزَّاقِ (٢٠٣٤٤) عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الْحَسَنِ، أَنَّ عِمْرَانَ بْنَ الْحُصَيْنِ، نَظَرَ إِلَىٰ رَجُلٍ فِي يَدِهِ فَتَخٌ مِنْ صُفْرٍ؛ فَقَالَ: مَا هَذَا فِي يَدِكَ؟ قَالَ: صَنَعْتُهُ مِنَ الْوَاهِنَةِ؛ فَقَالَ عِمْرَانُ: فَإِنَّهُ لاَ يَزِيدُكَ إِلاَّ وَهْنًا.

وَخُوْلِفَ مَعْمَرٌ مِنْ مُبَارَكِ بْنِ فَضَالَةَ؛ فَرَوَاهُ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: أَخْبَرَنِي عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ مَرْفُوْعًا- بِذِكْرِ قِصَّةِ الوَاهِنَةِ فَقَطْ- عِنْدَ أَحْمَدَ (٢٠٠٠٠)، وَابْنُ مَاجَهْ (٣٥٣١).

قُلْتُ: وَفِيْهِ عِلَلٌ؛ **أَحَدُهَا**: مُبَارَكٌ- وَهُوَ ابْنُ فَضَالَةَ- فِيْهِ ضَعْفٌ، وَيُدَلِّسُ، وَقَدْ عَنْعَنَ، وَلَمْ يُصَرِّحْ بِسَمَاعِهِ مِنَ الحَسَنِ. **ثَانِيْهَا**: المُخَالَفَةُ. **ثَالِثُهَا**: عَنْعَنَةُ الحَسَنِ؛ إِذِ التَّصْرِيْحِ بِسَمَاعِهِ- هُنَا- خَطَأٌ مِنْ مُبَارَكٍ؛ كَمَا قَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: كَانَ مُبَارَكُ بْنُ فَضَالَةَ يَرْفَعُ حُدِيْثًا كَثِيْرًا، وَيَقُوْلُ فِي غَيْرِ حَدِيْثٍ عَنِ الحَسَنِ: «قَالَ: حَدَّثَنَا عِمْرَانُ».

وَتُوْبِعَ مُبَارَكٌ عَلَيْهِ مِنْ أَبِي عَامِرٍ صَالِحِ بْنِ رُسْتُمٍ الخَزَّازِ، عِنْدَ ابْنِ حِبَّانَ (٦٠٨٨)، وَالطَّبَرَانِيُّ (١٨/ ١٥٩) (٣٤٨)، وَالخَزَّازُ مُخْتَلَفٌ فِيهِ، وَقَالَ الحَافِظُ: «صَدُوْقٌ، كَثِيْرُ الخَطَأَ».

=⇦

مِنَ صُفرٍ، فَقَالَ لَهُ: مَا هَذِهِ؟ قَالَ: نُعِتَتْ لِي مِنَ الْوَاهِنَةِ قَالَ: أَمَا إِنْ مُتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ وُكِلْتَ إِلَيْهَا، قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ وَلاَ تُطِيِّرَ لَهُ، وَلاَ تَكَهَّنَ وَلاَ تُكُهِّنَ لَهُ؛ أَظُنُّهُ قَالَ: أَوْ سَحَرَ، أَوْ سُحِرَ لَهُ**».

.. فَالشَّرْعُ الحَنِيْفُ بَرِيءٌ مِنَ المُتَطَيِّرِ!

○ فَالطِّيَرَةُ أَمْرُهَا فَاسِدٌ بَاطِلٌ، وَهِيَ وَهَمٌ وَخَيَالٌ، وَشِرْكٌ وَضَلالٌ، لَيْسَ فِيْهَا عَلامَةٌ وَلاَ دَلاَلَةٌ، وَلَيْسَتْ قَائِمَةً عَلَىٰ سَبَبٍ مُحَقَّقٍ.

○ **أَيُّهَا العَبْدُ**.. لاَ تَخَفْ، وَلاَ تَقْلَقْ، وَلاَ تَحْزَنْ؛ بَلِ اطْمَئِنَّ وَاهْدَأْ، وَسَكِّنِ النَّفْسَ، وَهَدِّأِ البَالَ، وَاجْعَلْ ثِقَتَكَ وَتَوَكُّلَكَ عَلَىٰ رَبِّكَ المَلِكِ القَدِيْرِ.

= **وَالوَقْفُ أَقْوَىٰ**؛ فَقَدْ تُوْبِعَ مُعْمَرٌ عَلَيْهِ مِنْ يُوْنُسَ بْنِ عُبَيْدٍ، عِنْدَ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ (٢٣٩٢٦)، وَإِسْحَاقَ بْنِ الرَّبِيْعِ العَطَّارِ؛ كَمَا- فِي حَدِيْثِ البَابِ- عِنْدَ الطَّبَرَانِيِّ (١٨/ ١٦٢)، وَمَنْصُوْرِ ابْنِ زَاذَانَ، عِنْدَ الطَّبَرَانِيِّ (١٨/ ١٧٩) (٤١٤).

وَلَهُ شَاهِدٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ؛ عِنْدَ البَزَّارِ (٣٠٤٣) مِنْ طَرِيْقِ: زَمْعَةَ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ وَهْرَامَ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

قُلْتُ: وَإِسْنَادُهُ لاَ يَثْبُتُ؛ فَفِيْهِ زَمْعَةُ، وَهُوَ ضَعِيْفٌ، وَأَمَّا سَلَمَةُ؛ فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، عَنْ أَبِيْهِ: «رَوَىٰ عَنْهُ زَمْعَةُ أَحَادِيْثَ مَنَاكِيْرَ، أَخْشَىٰ أَنْ يَكُوْنَ حَدِيْثُهُ ضَعِيْفًا».

.. اقْطَعْ عَلائِقَ الشِّرْكِ مِنَ القَلْبِ، وَوَحِّدْ بِقَلْبِكَ الرَّبَّ، وَلاَ تتَلَبَّسْ بِعَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ النَّارِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ التَّشَاؤُمَ وَالتَّطَيُّرَ مِنْ عَقَائِدِ الضُّلَّالِ التَّائِهِيْنَ الذِيْنَ يَتَسَبَّبُوْنَ فِي جَلْبِ الخَوْفِ وَالذُّعْرِ لأَنْفُسِهِمْ، وَالقَلَقِ لِقُلُوْبِهِمْ!!

.. وَالْزَمِ التَّوْحِيْدَ؛ **قَالَ ابْنُ القَيِّمِ**(١):

«فَمَنِ اسْتَمْسَكَ بِعُرْوَةِ التَّوْحِيْدِ الوُثْقَىٰ، وَاعْتَصَمَ بِحَبْلِ اللهِ المَتِيْنِ، وَتَوَكَّلَ عَلَىٰ الحَيِّ القَيُّوْمِ، قَطَعَ هَاجِسَ الطِّيَرَةِ مِنْ قَبْلِ اسْتِقْرَارِهَا، وَبَادَرَ خَوَاطِرَهَا مِنْ قَبْلِ اسْتِمْكَانِهَا. قَالَ عِكْرِمَةُ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْد ابْنِ عَبَّاسٍ؛ فَمَرَّ طَائِرٌ يَصِيْحُ؛ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: خَيْرٌ خَيْرٌ؛ فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ: **لا خَيْرَ وَلَا شَرَّ**(٢). مُبَادَرَةً بِالإِنْكَارِ عَلَيْهِ؛ لِئَلَّا يَعْتَقِدَ لَهُ تَأْثِيْرًا فِي الْخَيْرِ أَوِ الشَّرِّ. وَخَرَجَ طَاوُوْسٌ مَعَ صَاحِبٍ لَهُ فِي سَفَرٍ؛ فَصَاحَ غُرَابٌ؛

---

(١) «مِفْتَاحُ دَارِ السَّعَادَةِ» (٢/ ٢٣٥)- بِتَصَرُّفٍ يَسِيْرٍ-.

(٢) رَوَاهُ الدِّيْنَوَرِيُّ فِي («المُجَالَسَةِ»٩٣٧) بِسَنَدِهِ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، قَالَ: قَالَ عِكْرِمَةُ بِهِ.

وَعَزَاهُ الحَافِظُ فِي «الفَتْحِ» (١٠/ ٢١٥) إِلَىٰ الطَّبَرِيِّ، **وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ البَرِّ فِي «التَّمْهِيْدِ»** (٢٤/ ١٩٤):

وَرُوِّيْنَا عَنْ عِكْرِمَةَ أَنَّهُ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ ابْنِ عُمَرَ وَعِنْدَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمَرَّ غُرَابٌ يَصِيْحُ؛ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: .. ».

فَقَــالَ الرَّجُــلُ: خَيْــرٌ؛ فَقَــالَ طَــاوُوْسٌ: **وَأَيُّ خَيْــرٍ عِنْــدَهُ؟! وَاللهِ لَا تَصْحَبْنِي**(١)».

○ **نَعَمْ**.. اقْطَعْ دَابِرَ الطِّيَرَةِ.. وَلاَ تَشْغَلْ قَلْبَكَ بِهَا؛ فَلَيْسَ فِيْهَا مَا تُحِبُّ، وَلَيْسَ فِيْهَا مَا تَخَافُ..!!

قَالَ لَبِيْدٌ الشَّاعِرُ(٢):

لَعَمْرُكَ مَا تَدْرِي الضَّوَارِبُ بِالحَصَىٰ .. وَلاَ زَاجِرَاتُ الطَّيْرِ مَا اللهُ صَانِعُ



(١) عَزَاهُ ابْنُ مُفْلِحٍ فِي «الآدَابِ الشَّرْعِيَّةِ» (٣/ ٣٦٦) إِلَىٰ الخَلاَّلِ. وَهُوَ عِنْدَ عَبْدِ الرَّزَّاقِ فِي «المُصَنَّفِ» (١٠/ ٤٠٦)، وَمِنْ طَرِيْقِهِ: الذَّهَبِيُّ فِي «السِّيَرِ» (٥/ ٤٠).

(٢) «غَرِيْبُ الحَدِيْثِ» لأَبِي عُبَيْدٍ (٢/ ٤٦)، وَ«الصِّحَاحُ» للجَوْهَرِيِّ (٥/ ٢٠١)، وَ«الفَائِقُ» للزَّمَخْشَرِيِّ (٢/ ٣٧٢)، وَ«أُسْدُ الغَابَةِ» (تَرْجَمَةُ لَبِيْدٍ).

● **قُلْتُ**: وَالبَيْتُ فِي دِيْوَانِ لَبِيْدِ بْنِ رَبِيْعَةَ العَامِرِيِّ.

○ مَسْأَلَةٌ فِي حُكْمِ الطِّيَرَةِ ○

هَلِ الطِّيَرَةُ شِرْكٌ مُخْرِجٌ مِنَ المِلَّةِ، أَمْ شِرْكٌ أَصْغَرُ؟

الأَصْلُ؛ أَنَّهَا مِنَ الشِّرْكِ الأَصْغَرِ؛ لَكِنْ قَدْ تَتَحَوَّلُ إِلَىٰ الشِّرْكِ الأَكْبَرِ، وَقَدْ وَضَّحَ ذَلِكَ ابْنُ عُثَيْمِيْنَ رَحِمَهُ اللهُ فِي «القَوْلِ المُفِيْدِ» (١/ ٤٦١ و٤٦٢)؛ **فَقَالَ**: «**هِيَ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الشِّرْكِ**؛ لَكِنْ لَيْسَتْ شِرْكًا مُخْرِجًا مِنَ المِلَّةِ، وَإِلاَّ لَقَالَ: «الطِّيَرَةُ الشِّرْكُ» بِـ (أَلْ) المَعْرِفَةِ، أَوْ الدَّالَّةِ عَلَىٰ الاسْتِغْرَاقِ.

قَالَ: فَإِذَا تَطَيَّرَ إِنْسَانٌ بِشَيْءٍ رَآهُ، أَوْ سَمِعَهُ؛ فَإِنَّهُ لاَ يُعَدُّ مُشْرِكًا شِرْكًا يُخْرِجُهُ مِنَ المِلَّةِ؛ لَكِنْ أَشْرَكَ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ اعْتَمَدَ عَلَىٰ هَذَا السَّبَبِ الذِي لَمْ يَجْعَلْهُ اللهُ سَبَبًا، وَهَذَا يُضْعِفُ التَّوَكُّلَ عَلَىٰ اللهِ، وَيُوْهِنُ العَزِيْمَةَ، وَبِذَلِكَ يُعْتَبَرُ شِرْكًا مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ، **وَالقَاعِدَةُ**: «**إِنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ اعْتَمَدَ عَلَىٰ سَبَبٍ لَمْ يَجْعَلْهُ الشَّرْعُ سَبَبًا؛ فَإِنَّهُ مُشْرِكٌ شِرْكًا أَصْغَرَ**»، وَهَذَا نَوْعٌ مِنَ الإِشْرَاكِ مَعَ اللهِ؛ إِمَّا فِي التَّشْرِيْعِ إِنْ كَانَ هَذَا السَّبَبُ

شَرْعِيًّا(١)، وَإِمَّا فِي التَّقْدِيْرِ إِنْ كَانَ السَّبَبُ كَوْنِيًّا(٢)؛ **لَكِنْ لَوِ اعْتَقَدَ هَذَا الْمُتَشَائِمُ الْمُتَطَيِّرُ أَنَّ هَذَا فَاعِلٌ بِنَفْسِهِ دُوْنَ اللهِ؛ فَهُوَ مُشْرِكٌ شِرْكًا أَكْبَرَ؛ لأَنَّهُ جَعَلَ للهِ شَرِيْكًا فِي الخَلْقِ وَالإِيْجَادِ**».

وَقَرَّرَ هَذَا المَعْنَىٰ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «شَرْحِهِ لِمُسْلِمٍ» (١٤/ ٢١٩).

فَلْيَعْلَمِ العَبْدُ أَنَّ قَضَاءَ اللهِ عَلَيْهِ غَالِبٌ، وَأَنَّ رِزْقَهُ لَهُ طَالِبٌ، وَالحَرَكَةُ وَالسَّعْيُ سَبَبٌ؛ فَلْيَمْضِ فِي عَزَائِمِهِ، وَاثِقًا بِرَبِّهِ وَخَالِقِهِ؛ إِنْ أُعْطِيَ، وَرَاضِيًا بِهِ وَإِنْ مُنِعَ.

○ فَالطِّيَرَةُ هُوَ مَا يُتَشَاءَمُ بِهِ مِنَ الفَأْلِ الرَّدِيءِ، وَلَيْسَ مِنَ الفَأْلِ الحَسَنِ؛ فَاحْذَرْ..(٣)!!.

****

---

(١) كَالقِرَاءَةِ وَالدُّعَاءِ.

(٢) كَالأَدْوِيَةِ التِي جُرِّبَ نَفْعُهَا.

(٣) «اللِّسَانُ» (٤/ ٥٠٨)، و«مُخْتَارُ الصِّحَاحِ» (٤٠٣).

فَرْقٌ مُهِمٌّ .. وَتَوْضِيحٌ مُلِمٌّ

وَلاَبُدَّ مِنْ تَجْلِيَةِ أَمْرٍ مُهِمٍّ فِي هَذَا البَابِ وَبَيَانِهِ؛ حَتَّىٰ لاَ يَلْتَبِسَ الأَمْرُ عَلَىٰ العَبْدِ.

[١٣] فَقَدْ ثَبَتَ فِي «**الصَّحِيْحَيْنِ**»[١] عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: ذَكَرُوا الشُّؤْمَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنْ كَانَ الشُّؤْمُ فِي شَيْءٍ؛ فَفِي الدَّارِ، وَالمَرْأَةِ، وَالفَرَسِ**».

○ وَفِي رِوَايَةٍ[٢]: «**لاَ عَدْوَىٰ، وَلاَ طِيَرَةَ، وَإِنَّمَا الشُّؤْمُ فِي ثَلاَثَةٍ: الْمَرْأَةِ، وَالْفَرَسِ، وَالدَّارِ**».

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَىٰ[٣]: «**إِنْ يَكُنْ مِنَ الشُّؤْمِ شَيْءٌ حَقٌّ؛ فَفِي الْفَرَسِ، وَالْمَرْأَةِ، وَالدَّارِ**».

---

(١) أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ (٥٠٩٤)، وَمُسْلِمٌ (٢٢٢٥/ ١١٨).

(٢) عِنْدَ البُخَارِيِّ (٢٨٥٨و٥٧٧٢)، وَمُسْلِمٌ (٢٢٢٥/ ١١٦)- وَاللَّفْظُ لَهُ-.

(٣) عِنْدَ مُسْلِمٍ (٢٢٢٥/ ١١٧).

● **قَالَ الطَّحَاوِيُّ**(١): «قَالَ: إِنْ تَكُنِ الطِّيَرَةُ فِي شَيْءٍ؛ فَفِي الْمَرْأَةِ، وَالْفَرَسِ، وَالدَّارِ؛ فَلَمْ يُخْبِرْ أَنَّهَا فِيهِنَّ، وَإِنَّمَا قَالَ: إِنْ تَكُنْ فِي شَيْءٍ؛ فَفِيهِنَّ؛ أَيْ: لَوْ كَانَتْ تَكُونُ فِي شَيْءٍ؛ لَكَانَتْ فِي هَؤُلَاءِ؛ فَإِذَا لَمْ تَكُنْ فِي هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ؛ فَلَيْسَتْ فِي شَيْءٍ».

● **وَقَالَ الخَطَّابِيُّ فِي «المَعَالِمِ» (٤/ ٢٣٦):**

«مَعْنَاهُ: إِبْطَالُ مَذْهَبِهِمْ فِي الطَّيْرِ بِالسَّوَانِحِ وَالبَوَارِحِ(٢) مِنَ الطَّيْرِ وَالظِّبَاءِ وَنَحْوِهَا؛ إِلاَّ أَنَّهُ يَقُوْلُ: إِنْ كَانَتْ لأَحَدِكُمْ دَارٌ يَكْرَهُ سُكْنَاهَا، أَوِ امْرَأَةٌ يَكْرَهُ صُحْبَتَهَا، أَوْ فَرَسٌ لاَ يُعْجِبُهُ ارْتِبَاطُهُ؛ فَلْيُفَارِقْهَا بِأَنْ يَتَنَقِلَ عَنِ

---

(١) فِي «شَرْحِ مَعَانِي الآثَارِ» (٤/ ٣١٤).

(٢) **قَالَ ابْنُ القَيِّمِ فِي «مِفْتَاحِ دَارِ السَّعَادَةِ» (٢/ ٢٢٩):**

«أَصْلُ هَذَا؛ أَنَّهُمْ كَانُوا يَزْجُرُوْنَ الطَّيْرَ وَالوَحْشَ وَيُثِيْرُوْنَهَا؛ فَمَا تَيَامَنَ مِنْهَا، وَأَخَذَ ذَاتَ الْيَمِيْنَ سَمَّوْهُ سَانِحًا، وَمَا تَيَاسَرَ مِنْهَا سَمَّوْهُ بَارِحًا، وَمَا اسْتَقْبَلَهُمْ مِنْهَا؛ فَهُوَ النَّاطِحُ، وَمَا جَاءَهُمْ مِنْ خَلْفِهِمْ سَمَّوْهُ القَعِيْدَ؛ فَمِنَ الْعَرَبِ مَنْ يَتَشَاءَمُ بِالبَارِحِ، وَيَتَبَرَّكُ بِالسَّانِحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَرَىٰ خِلاَفَ ذَلِكَ؛ قَالَ الْمَدَائِنِيُّ: سَأَلْتُ رُؤْبَةَ بْنَ العَجَّاجِ: مَا السَّانِحُ؟ قَالَ: مَا وَلاَّكَ مَيَامِنَهُ، قَالَ: قُلْتُ: فَمَا البَارِحُ؟ قَالَ: مَا وَلاَّكَ مَيَاسِرَهُ. قَالَ: وَالَّذِي يَجِيءُ مِنْ قُدَّامِكَ؛ فَهُوَ النَّاطِحُ وَالنَّطِيْحُ، وَالَّذِي يَجِيءُ مِنْ خَلْفِكَ؛ فَهُوَ الْقَاعِدُ وَالقَعِيْدُ. وَقَالَ الْمُفَضَّلُ الضَّبِّيُّ: البَارِحُ: مَا يَأْتِيْكَ عَنِ الْيَمِيْنِ يُرِيْدُ يَسَارَكَ، وَالسَّانِحُ: مَا يَأْتِيْكَ عَنِ الْيَسَارِ؛ فَيَمُرُّ عَلَىٰ الْيَمِيْنِ».

الدَّارِ، وَبَيْعَ الفَرَسِ، وَكَانَ مَحَلُّ هَـذَا الكَـلاَمِ مَحَـلَّ اسْـتِثْنَاءِ الشَّـيْءِ مِـنْ غَيْرِ جِنْسِهِ. وَسَبِيْلُهُ سَبِيْلَ الخُرُوْجِ مِنْ كَلاَمٍ إِلَىٰ غَيْرِهِ، وَقَدْ قِيْلَ: إِنْ شُؤْمَ الدَّارِ ضِيْقُهَا، وَسُوْءُ جِوَارِهَا، وَشُؤْمَ الفَرَسِ أَنْ لاَ يُغْزَىٰ عَلَيْهَا، وَشُؤْمَ المَرْأَةِ أَنْ لاَ تَلِدَ».

● **وَقَالَ فِي «أَعْلاَمِ الحَدِيْثِ» (٢/ ١٣٨٠):**

«اليُمْنُ وَالشُّؤْمُ سِمَتَانِ لِمَا يُصِيْبُ الإِنْسَانَ مِنَ الخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَالنَّفْعِ وَالضُّرِّ، وَلاَ يَكُوْنُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ إِلاَّ بِمَشِيْئَةِ اللهِ وَقَضَائِهِ، وَإِنَّمَا هَذِهِ الأَشْيَاءُ مَحَالٌّ وَظُرُوْفٌ جُعِلَتْ مَوَاقِعَ لأَقْضِيَتِهِ، لَيْسَ لَهَا بِأَنْفُسِهَا وَطَبَاعِهَا فِعْلٌ، وَلاَ تَأْثِيْرٌ فِي شَيْءٍ، إِلاَّ أَنَّهَا لَمَّا كَانَتْ أَعَمَ الأَشْيَاءِ الَّتِي يَقْتَنِيْهَا النَّاسُ، وَكَانَ الإِنْسَانُ فِي غَالِبِ أَحْوَالِهِ لاَ يَسْتَغْنِي عَنْ: دَارٍ سَكَنَهَا، وَزَوْجَةٍ يُعَاشِرُهَا، وَفَرَسٍ يَرْتَبِطُهُ، وَكَانَ لاَ يَخْلُوْ مِنْ عَارِضٍ مَكْرُوْهٍ فِي زَمَانِهِ وَدَهْرِهِ أُضِيْفَ اليُمْنُ وَالشُّؤْمُ إِلَيْهَا إِضَافَةَ مَكَانٍ وَمَحَلٍّ، وَهُمَا صَادِرَانِ عَنْ مَشِيْئَةِ اللهِ- سُبْحَانَهُ-، وَقَدْ قِيْلَ: إِنَّ شُؤْمَ المَرْأَةِ أَنْ لاَ تَلِدَ، وَشُؤْمَ الفَرَسِ أَنْ لاَ يُحْمَلَ عَلَيْهِ فِي سَبِيْلِ اللهِ، وَشُؤْمَ الدَّارِ سُوْءُ الجِوَارِ.

وَقَدْ روَىٰ قَتَادَةُ، عَنْ أَبِي حَسَّانَ الْأَعْرَجِ، أَنَّ رَجُلَيْنِ، دَخَلَا عَلَىٰ عَائِشَةَ فَقَالَا: إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يَقُولُ: «**إِنَّمَا الطِّيَرَةُ فِي الْمَرْأَةِ، وَالدَّابَّةِ، وَالدَّارِ**»، قَالَ: فَطَارَتْ شِقَّةٌ مِنْهَا فِي السَّمَاءِ، وَشِقَّةٌ فِي الْأَرْضِ؛ فَقَالَتْ: وَالَّذِي أَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَىٰ أَبِي الْقَاسِمِ مَا هَكَذَا كَانَ يَقُولُ، وَلَكِنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «**كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ: الطِّيَرَةُ فِي الْمَرْأَةِ، وَالدَّارِ، وَالدَّابَّةِ**»، ثُمَّ قَرَأَتْ عَائِشَةُ: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ [الحَدِيْدُ: ٢٢] إِلَىٰ آخِرِ الْآيَةِ(١)».

---

(١) رَوَاهُ أَحْمَدُ (٢٥١٦٨)، (٢٦٠٣٤)، (٢٦٠٨٨) مِنْ طَرِيْقِ: قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي حَسَّانَ الْأَعْرَجِ بِهِ. وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ.

● **قَالَ ابْنُ الجَوْزِيِّ فِي «كَشْفِ المُشْكِلِ» (٢/ ٢٦٨):**

«وَلِقَائِلٍ أَنْ يَقُوْلَ: فَكَيْفَ الْجَمْعُ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ قَوْلِهِ: «لَا عَدْوَىٰ وَلَا طِيَرَةَ»؟ **وَالْجَوَابُ**: أَمَّا عَائِشَةُ؛ فَقَدْ غَلَّطَتْ مَنْ رَوَىٰ هَذَا، وَقَالَتْ: إِنَّمَا قَالَ: كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُوْلُوْنَ: الطِّيَرَةُ فِي الْمَرْأَةِ وَالدَّابَّةِ وَالدَّارِ. وَهَذَا رَدٌّ مِنْهَا لِصَرِيْحِ خَبَرٍ رَوَاهُ جَمَاعَةٌ ثِقَاتٌ؛ فَلَا يُعْتَمَدُ عَلَىٰ رَدِّهَا. **وَالصَّحِيْحُ**؛ أَنَّ الْمَعْنَىٰ: إِنْ خِيفَ مِنْ شَيْءٍ أَنْ يَكُوْنَ سَبَبًا لِمَا يُخَافُ شَرُّهُ، وَيُتَشَاءَمُ بِهِ؛ فَهَذِهِ الْأَشْيَاءُ، لَا عَلَىٰ السَّبِيلِ الَّتِي تَظُنُّهَا الْجَاهِلِيَّةُ مِنَ الْعَدْوَىٰ وَالطِّيَرَةِ، وَإِنَّمَا الْقَدَرُ يَجْعَلُ للأَسْبَابِ تَأْثِيرًا..». ثُمَّ أَوْرَدَ كَلَامَ الخَطَّابِيِّ.

● **وَقَالَ ابْنُ القَيِّمِ فِي «مِفْتَاحِ دَارِ السَّعَادَةِ» (٢/ ٢٥٣-٢٧٥):**

«وَأما قَوْلُهُ: (**الشُّؤْمُ فِي ثَلَاثٍ**.. الحَدِيْثَ)؛ فَهُوَ حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ عُمَرَ، وَسَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، وَمُعَاوِيَةَ بْنِ حَكِيْمٍ.. وَقَدِ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي هَذَا الحَدِيْثِ، وَكَانَتْ عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِيْنَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا تُنْكِرُ أَنْ يَكُوْنَ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ ﷺ، وَتَقُوْلُ: إِنَّمَا حَكَاهُ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ عَنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ وَأَقْوَالِهِمْ.. قَالَ أَبُو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: وَكَانَتْ عَائِشَةُ تَنْفِي الطِّيَرَةَ وَلَا تَعْتَقِدُ شَيْئًا مِنْهَا؛ حَتَّىٰ قَالَتْ لِنِسْوَةٍ كُنَّ يَكْرَهْنَ البِنَاءَ بِأَزْوَاجِهِنَّ فِي شَوَّالٍ: «**مَا تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا فِي شَوَّالٍ، وَمَا دَخَلَ بِي إِلَّا فِي شَوَّالٍ؛ فَمَنْ كَانَ أَحْظَىٰ مِنِّي (عِنْدَهُ)؟**»، **وَكَانَتْ تَسْتَحِبُّ أَنْ يَدْخُلْنَ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِنَّ فِي شَوَّالٍ.**

قَالَ أَبُو عُمَرَ: وَقَوْلُهَا فِي أَبِي هُرَيْرَةَ: كَذَبَ؛ فَإِنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ: كَذَبْتَ بِمَعْنَىٰ: غَلِطْتَ فِيمَا قَدَّرْتَ، وَأَوْهَمْتَ فِيمَا قُلْتَ، وَلَمْ تَظُنَّ حَقًّا، وَنَحْوَ هَذَا، وَذَلِكَ مَعْرُوفٌ مِنْ كَلَامِهِمْ، مَوْجُودٌ فِي أَشْعَارِهِمْ كَثِيرًا..

وَالْمَقْصُوْدُ؛ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا رَدَّتْ هَذَا الحَدِيْثَ وَأَنْكَرَتْهُ، وَخَطَّأَتْ قَائِلَهُ، وَلَكِنَّ قَوْلَ عَائِشَةَ هَذَا مَرْجُوْحٌ، وَلَهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهَا اجْتِهَادٌ فِي رَدِّ بَعْضِ الأَحَادِيْثِ الصَّحِيْحَةِ خَالَفَهَا فِيهِ غَيْرُهَا مِنَ

الصَّحَابَةِ، وَهِي رَضِيَ اللهُ عَنْهَا لَمَّا ظَنَّتْ أَنَّ هَذَا الحَدِيْث يَقْتَضِي إِثْبَاتَ الطِّيَرَةِ الَّتِي هِيَ مِنَ الشِّرْكِ لَمْ يَسَعْهَا غَيرَ تَكْذِيْبِهِ وَرَدِّهِ! وَلَكِنَ الَّذِيْنَ رَوَوْهُ مِمَّنْ لَا يُمْكِنُ رَدُّ رِوَايَتِهِمْ، وَلَمْ يَنْفَرِدْ بِهَذَا أَبُوْ هُرَيْرَةَ وَحْدَهُ، وَلَوِ انْفَرَدَ بِهِ؛ فَهُوَ حَافِظُ الْأُمَّةِ عَلَىٰ الإِطْلَاقِ، وَكُلُّ مَا رَوَاهُ النَّبِيُّ ﷺ؛ فَهُوَ صَحِيْحٌ؛ بَلْ قَدْ رَوَاهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَسَهْلُ بْنُ سَعْدٍ السَّاعِدِيُّ، وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيُّ، وَأَحَادِيْثُهُمْ فِي الصَّحِيْحِ؛ فَالْحَقُّ؛ أَنَّ الْوَاجِبَ بَيَانُ مَعْنَىٰ الحَدِيْثِ وَمُبَايَنَتِهِ للطِّيَرَةِ الشِّرْكِيَّةِ.

فَنَقُوْلُ- وَبِاللهِ التَّوْفِيْقُ-: هَذَا الحَدِيْثُ قَدْ رُوِي عَلَىٰ وَجْهَيْنِ؛ أَحَدِهِمَا بِالْجَزْمِ، وَالثَّانِي بِالشَّرْطِ.

فَأَمَّا الأَوَّلُ؛ فَرَوَاهُ مَالِكٌ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ سَالِمٍ وَحَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ أَبِيْهِمَا؛ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**الشُّؤْمُ فِي الدَّارِ، وَالْمَرْأَةِ، وَالْفَرَسِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَفِي لَفْظٍ فِي «الصَّحِيْحَيْنِ»- عَنْهُ-: «**لَا عَدْوَىٰ، وَلَا صَفَرَ، وَلَا طِيَرَةَ، وَإِنَّمَا الشُّؤْمُ فِي ثَلَاثَةٍ: الْمَرْأَةُ، وَالْفَرَسُ، وَالدَّارُ**».

وَأما الثَّانِي؛ فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»- أَيْضًا- عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ: «**إِنْ كَانَ؛ فَفِي الْمَرْأَةِ، وَالْفَرَسِ، وَالمَسْكَنِ- يَعْنِي الشُّؤْمَ**»، وَقَالَ البُخَارِيُّ: «**إِنْ كَانَ فِي شَيْءٍ..** ».

● **وَقَالَتْ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ**: لَمْ يَجْزِمِ النَّبِيُّ ﷺ بِالشُّؤْمِ فِي هَذِهِ الثَّلَاثَةِ؛ بَلْ عَلَّقَهُ عَلَىٰ الشَّرْطِ؛ فَقَالَ: «**إِنْ يَكُنِ الشُّؤْمُ فِي شَيْءٍ..**»، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ صِدْقِ الشَّرْطِيَّةِ صِدْقُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ مُفْرَدَيْهَا؛ فَقَدْ يَصْدُقُ التَّلَازُمُ بَيْنَ المُسْتَحِيْلَيْنِ. قَالُوْا: وَلَعَلَّ الْوَهَمَ وَقَعَ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ أَنَّ الرَّاوِيَ غَلِطَ، وَقَالَ: الشُّؤْمُ فِي ثَلَاثَةٍ، وَإِنَّمَا الحَدِيْثُ: «**إِنْ كَانَ الشُّؤْمُ فِي شَيْءٍ؛ فَفِي ثَلَاثَةٍ**»؛ قَالُوْا: وَقَدِ اخْتُلِفَ عَلَىٰ ابْنِ عُمَرَ، وَالرِّوَايَتَانِ صَحِيْحَتَانِ عَنْهُ، قَالُوْا: وَبِهَذَا يَزُوْلُ الْإِشْكَالُ، وَيَتَبَيَّنُ وَجْهُ الصَّوَابِ.

● **وَقَالَتْ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ**: إِضَافَةُ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ الشُّؤْمَ إِلَىٰ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ مَجَازٌ وَاتِّسَاعٌ؛ أَيْ: قَدْ يَحْصُلُ مُقَارِنًا لَهَا وَعِنْدَهَا، لَا أَنَّهَا هِيَ أَنْفُسَهَا مِمَّا يُوْجِبُ الشُّؤْمَ، قَالُوْا: وَقَدْ يَكُوْنُ الدَّارُ قَدْ قَضَىٰ اللهُ ﷻ عَلَيْهَا أَنْ يُمِيْتَ فِيْهَا خَلْقًا مِنْ عِبَادِهِ؛ كَمَا يُقَدِّرُ ذَلِكَ فِي الْبَلَدِ الَّذِي يَنْزِلُ الطَّاعُوْنُ بِهِ وَفِي الْمَكَانِ الَّذِي يَكْثُرُ الوَبَاءُ بِهِ؛ فَيُضَافُ ذَلِكَ إِلَىٰ الْمَكَانِ مَجَازًا، وَاللهُ خَلَقَهُ عِنْدَهُ، وَقَدَّرَهُ فِيْهِ؛ كَمَا يَخْلُقُ الْمَوْتَ عِنْدَ قَتْلِ الْقَاتِلِ، وَالشِّبعَ

وَالرِّيَّ عِنْدَ أَكْلِ الْآكِلِ، وَشُرْبِ الشَّارِبِ؛ فَالدَّارُ الَّتِي يَهْلِكَ بِهَا أَكْثَرُ سَاكِنِيْهَا تُوْصَفُ بِالشُّؤْمِ؛ لِأَنَّ اللهَ ﷻ قَدْ قَصَّهَا بِكَثْرَةٍ مَنْ قُبِضَ فِيهَا كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِ الْمَوْتَ فِي تِلْكَ الدَّارِ، حَسَّنَ إِلَيْهِ سُكْنَاهَا، وَحَرَّكَهُ إِلَيْهَا؛ حَتَّىٰ يَقْبِضَ رُوْحَهُ فِي الْمَكَانِ الَّذِي كُتِبَ لَهُ؛ كَمَا سَاقَ الرَّجُلَ مِنْ بَلَدٍ إِلَىٰ بَلَدٍ للأَثَرِ وَالبُقْعَةِ الَّتِي قَضَىٰ أَنَّهُ يَكُوْنُ مَدْفَنُهُ بِهَا.

قَالُوْا: وَكَذَلِكَ مَا يُوْصَفُ مِنْ طُوْلِ أَعْمَارِ بَعْضِ أَهْلِ الْبُلْدَانِ لَيْسَ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ صِحَّةِ هَوَاءٍ، وَلَا طِيْبِ تُرْبَةٍ، وَلَا طَبْعٍ يَزْدَادُ بِهِ الْأَجَلُ، وَيَنْقُصُ بِفَوَاتِهِ، وَلَكِنَّ اللهَ ﷻ قَدْ خَلَقَ ذَلِكَ الْمَكَانَ، وَقَضَىٰ أَنْ يُسْكِنَهُ أَطْوَلَ خَلْقِهِ أَعْمَارًا؛ فَيَسُوْقُهُمْ إِلَيْهِ، وَيَجْمَعُهُمْ فِيْهِ، وَيُحَبِّبُهُ إِلَيْهِمْ.

قَالُوْا: وَإِذَا كَانَ هَذَا عَلَىٰ مَا وَصَفْنَا فِي الدُّوْرِ وَالْبِقَاعِ جَازَ مِثْلُهُ فِي النِّسَاءِ وَالْخَيْلِ؛ فَتَكُوْنُ الْمَرْأَةُ قَدْ قَدَّرَ اللهُ عَلَيْهَا أَنْ تَتَزَوَّجَ عَدَدًا مِنَ الرِّجَالِ، وَيَمُوْتُوْنَ مَعَهَا؛ فَلَا بُدَّ مِنْ إِنْفَاذِ قَضَائِهِ وَقَدَّرَهُ؛ حَتَّىٰ إِنَّ الرَّجُلَ لِيُقْدِمَ عَلَيْهَا مِنْ بَعْدِ عِلْمِهِ بِكَثْرَةِ مَنْ مَاتَ عَنْهَا لِوَجْهٍ مِنَ الطَّمَعِ يَقُوْدُهُ إِلَيْهَا؛ حَتَّىٰ يَتِمَّ قَضَاؤُهُ وَقَدَرُهُ؛ فَتُوْصَفُ الْمَرْأَةُ بِالشُّؤْمِ لِذَلِكَ، وَكَذَلِكَ الْفَرَسُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فِعْلٌ وَلَا تَأْثِيْرٌ.

وَقَالَ ابْنُ الْقَاسِمِ: سُئِلَ مَالِكٌ عَنِ الشُّؤْمِ فِي الْفَرَسِ وَالدَّارِ؟ فَقَالَ: إِنَّ ذَلِك كَذِبٌ فِيمَا نَرَىٰ، كَمْ مِنْ دَارٍ قَدْ سَكَنَهَا نَاسٌ؛ فَهَلَكُوْا، ثُمَّ سَكَنَهَا آخَرُوْنَ؛ فَمَلَكُوْا. قَالَ: فَهَذَا تَفْسِيْرُهُ فِيمَا نَرَىٰ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ: شُؤْمُ الدَّارِ مُجَاوَرَةُ جَارِ السُّوْءِ، وَشُؤْمُ الْفَرَسِ أَنْ يُغْزَىٰ عَلَيْهَا فِي سَبِيْلِ اللهِ، وَشُؤْمُ الْمَرْأَةِ أَنْ لَا تَلِدَ، وَتَكُوْنُ سَيِّئَةَ الْخَلْقِ.

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ- مِنْهُمْ الخَطَّابِيُّ-: هَذَا مُسْتَثْنَىٰ مِنَ الطِّيَرَةِ؛ أَيِ الطِّيَرَةُ مَنْهِيٌّ عَنْهَا إِلَّا أَنْ يَكُوْنَ لَهُ دَارٌ يَكْرَهُ سُكْنَاهَا، أَوِ امْرَأَةٌ يَكْرَهُ صُحْبَتَهَا، أَوْ فَرَسٌ أَوْ خَادِمٌ؛ فَلْيُفَارِقِ الْجَمِيْعَ بِالْبَيْعِ وَالطَّلَاقِ وَنَحْوِهِ، وَلَا يُقِيْمُ عَلَىٰ الْكَرَاهَةِ وَالتَّأَذِّي بِهِ؛ فَإِنَّهُ شُؤْمٌ، وَقَدْ سَلَكَ هَذَا المَسْلَكَ أَبُوْ مُحَمَّدٍ بْنُ قُتَيْبَةَ- فِي كِتَابِ مُشْكِلِ الحَدِيْثِ لَهُ- لَمَّا ذَكَرَ أَنَّ بَعْضَ الْمَلَاحِدَةِ اعْتَرَضَ بِحَدِيْثِ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ.

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ: الشُّؤْمُ فِي هَذِهِ الثَّلَاثَةِ إِنَّمَا يَلْحَقُ مَنْ تَشَاءَمَ بِهَا، وَتَطَيَّرَ بِهَا؛ فَيَكُوْنُ شُؤْمُهَا عَلَيْهِ، وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَىٰ اللهِ، وَلَمْ يَتَشَاءَمْ، وَلَمْ يَتَطَيَّرْ لَمْ تَكُنْ مَشْئُوْمَةً عَلَيْهِ، قَالُوْا: وَيَدُلُّ عَلَيْهِ حَدِيْثُ أَنَسٍ: (**الطِّيَرَةُ**

عَلَىٰ مَنْ تَطَيَّرَ(١)). وَقَدْ يَجْعَلُ اللهُ- سُبْحَانَهُ- تَطَيُّرَ العَبْدِ وَتَشَاؤُمَهُ سَبَبًا لِحُلُوْلِ الْمَكْرُوْهِ بِهِ؛ كَمَا يَجْعَلُ الثِّقَةَ، وَالتَّوَكُّلَ عَلَيْهِ، وَإِفْرَادَهُ بِالخَوْفِ وَالرَّجَاءِ مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ الَّتِي يَدْفَعُ بِهَا الشَّرَّ المُتَطَيَّرَ بِهِ، **وَسِرُّ هَذَا؛**

---

(١) **مُنْكَرٌ**؛ رَوَاهُ الطَّبَرِيُّ فِي «تَهْذِيْبِ الآثَارِ» (٥٢)، والطَّحَاوِيُّ في «شَرْحِ المُشْكِلِ» (٢٣٢٣)، وَابْنُ حِبَّانَ في «الصَّحِيْحِ» (٦١٢٣) مِنْ طَرِيْقِ: زُهَيْرِ بْنِ مُعَاوِيَةَ، عَنْ عُتْبَةَ بْنِ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُبَيْدُ الله بْنُ أَبِي بَكْرٍ أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا طِيَرَةَ، وَالطِّيَرَةُ عَلَىٰ مَنْ تَطَيَّرَ، وَإِنْ تَكُ فِي شَيْءٍ؛ فَفِي الدَّارِ، وَالفَرَسِ، وَالمَرْأَةِ**».

● **قُلْتُ**: وَقَدْ تَفَرَّدَ بِهَذَا اللَّفْظِ: (**وَالطِّيَرَةُ عَلَىٰ مَنْ تَطَيَّرَ**) عُتْبَةُ بْنُ حُمَيْدٍ الضَّبِّيُّ مُخْتَلَفٌ فِيْهِ؛ قَالَ أَحْمَدُ: «ضَعِيْفُ الحَدِيْثِ، لَيْسَ بِالقَوِيِّ، وَلَمْ يَشْتَهِ النَّاسُ حَدِيْثَهُ». وَقَالَ أَبُوْ حَاتِمٍ: «صَالِحُ الحَدِيْثِ». وَقَالَ ابْنُ حَجَرٍ فِي «التَّقْرِيْبِ»: «صَدُوْقٌ، لَهُ أَوْهَامٌ». وَضَعَّفَهُ فِي «التَّلْخِيْصِ» (٤/ ٢٠٦٢).

وَخُوْلِفَ عُتْبَةُ مِنْ شُعْبَةَ؛ فَرَوَاهُ دُوْنَ هَذِهِ اللَّفْظَةِ؛ كَمَا عِنْدَ الشَّيْخَيْنِ مِنْ طَرِيْقِ: شُعْبَةَ عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَا عَدْوَىٰ، وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ: الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ، الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ**».

وَقَوْلُهُ: «**وَإِنْ تَكُ فِي شَيْءٍ**..» ثَابِتٌ عِنْدَ الشَّيْخَيْنِ مِنْ وُجُوْهٍ أُخَرَ.

قَالَ الحَافِظُ في «الفَتْحِ»:

«وفِي صِحَّتِهِ نَظَرٌ؛ لِأَنَّهُ مِنْ رِوَايَةِ عُتْبَةَ بْنِ حُمَيْدٍ عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ عَنْ أَنَسٍ، وَعُتْبَةُ مُخْتَلَفٌ فِيهِ».

⇦=

أَنَّ الطِّيَرَةَ إِنَّمَا تَتَضَمَّنُ الشِّرْكَ بِاللهِ- تَعَالَىٰ-، وَالْخَوْفَ مِنْ غَيْرِهِ، وَعَدَمَ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، وَالثِّقَةِ بِهِ، كَانَ صَاحِبُهَا غَرَضًا لِسِهَامِ الشَّرِّ وَالْبَلَاءِ؛ فَيَتَسَرَّعُ نُفُوْذُهَا فِيْهِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَتَدَرَّعْ مِنَ التَّوْحِيْدِ وَالتَّوَكُّلِ بِجُنَّةٍ وَاقِيَةٍ، وَكُلُّ مَنْ خَافَ شَيْئًا غَيْرَ اللهِ سُلِّطَ عَلَيْهِ؛ كَمَا أَنَّ مَنْ أَحَبَّ مَعَ اللهِ غَيْرَهُ عُذِّبَ بِهِ، وَمَنْ رَجَا مَعَ اللهِ غَيْرَهُ خُذِلَ مِنْ جِهَتِهِ، وَهَذِهِ أُمُوْرٌ تَجْرِبَتُهَا تَكْفِي عَنْ أَدِلَّتِهَا، وَالنَّفْسُ لَابُدَّ أَنْ تَتَطَيَّرَ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ الْقَوِيَّ الإِيْمَانِ يَدْفَعُ مُوجِبَ تَطَيُّرِهِ بِالتَّوَكُّلِ عَلَىٰ اللهِ؛ فَإِنَّ مَنْ تَوَكَّلَ عَلَىٰ اللهِ وَحْدَهُ كَفَاهُ مِنْ غَيْرِهِ؛ قَالَ- تَعَالَىٰ-: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٨) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَىٰ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَىٰ الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾

=

وَفِي مَعْنَىٰ الحَدِيْثِ؛ قَالَ ابْنُ عَبْدِ البَرِّ فِي «الاسْتِذْكَارِ»:

«مَعْنَىٰ قَوْلِهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّمَا الطِّيَرَةُ عَلَىٰ مَنْ تَطَيَّرَ**»؛ أَيْ: عَلَىٰ مَنِ اعْتَقَدَهَا، وَصَحَّتْ فِي نَفْسِهِ، لَزِمَتْهُ وَلَمْ تَكُنْ تُخْطِئُهُ».

وَقَالَ فِي «التَّمْهِيْدِ»:

«الْمَعْنَىٰ فِي ذَلِكَ: نَفْيُ الطِّيَرَةِ بِقَوْلِهِ: **لا طِيَرَةَ**، وَأَمَّا قَوْلُهُ: **الطِّيَرَةُ عَلَىٰ مَنْ تَطَيَّرَ**؛ فَمَعْنَاهُ: إِثْمُ الطِّيَرَةُ عَلَىٰ مَنْ تَطَيَّرَ بَعْدَ عِلْمِهِ بِنَهْيِ رَسُوْلِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الطِّيَرَةِ». وَانْظُرْ: «لَطَائِفَ المَعَارِفِ» (ص٥٥)- لابْنِ رَجَبٍ الحَنْبَلِيِّ-.

[النَّحْلُ:٩٨-١٠٠]، وَلِهَذَا قَالَ ابْنُ مَسْعُوْدٍ: **وَمَا مِنَّا إِلَّا**- يَعْنِي: مَنْ يُقَارِبُ التَّطَيُّرَ-، **وَلَكِنَّ اللهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ**.

قَالُوْا: فَالشُّؤْمُ الَّذِي فِي الدَّارِ وَالْمَرْأَةِ وَالْفَرَسِ قَدْ يَكُوْنُ مَخْصُوْصًا بِمَنْ تَشَاءَمَ بِهَا وَتَطَيَّرَ، وَأَمَّا مَنْ تَوَكَّلَ عَلَىٰ اللهِ وَخَافَهُ وَحْدَهُ، وَلَمْ يَتَطَيَّرْ، وَلَمْ يَتَشَاءَمْ؛ فَإِنَّ الْفَرَسَ، وَالْمَرْأَةَ، وَالدَّارَ لَا يَكُوْنُ شُؤْمًا فِي حَقِّهِ.

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ: مَعْنَىٰ الحَدِيْثِ إِخْبَارُهُ عَنِ الْأَسْبَابِ الْمُثِيْرَةِ للطِّيَرَةِ الكَامِنَةِ فِي الغَرَائِزِ، يَعْنِي: أَنَّ الْمُثِيْرَ للطِّيَرَةِ فِي غَرَائِزِ النَّاسِ هِيَ هَذِهِ الثَّلَاثَةُ؛ فَأَخْبَرَنَا بِهَذَا؛ لِنَأْخُذَ الحَذَرَ مِنْهَا؛ فَقَالَ: **الشُّؤْمُ فِي الدَّارِ، وَالْمَرْأَةِ وَالْفَرَسِ**؛ أَيْ: أَنَّ الْحَوَادِثَ الَّتِي تَكْثُرُ مَعَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَالمَصَائِبِ الَّتِي تَتَوَالَىٰ عِنْدَهَا تَدْعُو النَّاسَ إِلَىٰ التَّشَاؤُمِ بِهَا؛ فَقَالَ: الشُّؤْمُ فِيهَا؛ أَيْ: أَنَّ اللهَ قَدْ يُقَدِّرُهُ فِيهَا عَلَىٰ قَوْمٍ دُوْنَ قَوْمٍ؛ فَخَاطَبَهُمْ بِذَلِكَ لِمَا اسْتَقَرَّ عِنْدَهُمْ مِنْهُ مِنْ إِبْطَالِ الطِّيَرَةِ، وَإِنْكَارِ الْعَدْوَىٰ، وَلِذَلِكَ لَمْ يَسْتَفْهِمُوْا فِي ذَلِكَ عَنْ مَعْنَىٰ مَا أَرَادَهُ؛ كَمَا تَقَدَّمَ لَهُمْ فِي قَوْلِهِ: (**لَا يُوْرِدُ الْمُمْرِضُ عَلَىٰ الْمُصِحِّ**)؛ فَقَالُوا- عِنْدَهُ-: وَمَا ذَاكَ يَا رَسُوْلَ اللهِ؛ فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ خَافَ فِي ذَلِكَ الْأَذَىٰ الَّذِي يُدْخِلُهُ الْمُمْرِضُ عَلَىٰ الْمُصِحِّ؛ لَا الْعَدْوىٰ؛ لِأَنَّهُ أَمَرَ بِالتَّوَادُدِ، وَإِدْخَالِ السُّرُوْرِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِيْنَ، وَحُسْنِ التَّجَاوُزِ، وَنَهَىٰ عَنِ

التَّقَاطُعِ، وَالتَّبَاغُضِ، وَالأَذَىٰ؛ فَمَنِ اعْتَقَدَ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ نَسَبَ الطِّيَرَةَ وَالشُّؤْمَ إِلَىٰ شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ عَلَىٰ سَبِيْلِ أَنَّهُ مُؤَثِّرٌ بِذَلِكَ دُوْنَ اللهِ؛ فَقَدْ أَعْظَمَ الْفِرْيَةَ عَلَىٰ اللهِ وَعَلَىٰ رَسُوْلِهِ، وَضَلَّ ضَلالاً بَعِيْدًا، وَالنَّبِيُّ ﷺ ابْتَدَأَهُمْ بِنَفْيِ الطِّيَرَةِ وَالعَدْوَىٰ، ثُمَّ قَالَ: (**الشُّؤْمُ فِي ثَلَاثٍ**)؛ قَطْعًا لِتَوَهُّمِ المَنْفِيَّةِ فِي الثَّلَاثَةِ الَّتِي أَخبرَ أَنَّ الشُّؤْمَ يَكُوْنُ فِيْهَا؛ فَقَالَ: (**لَا عَدْوَىٰ، وَلَا طِيَرَةَ، وَالشُّؤْمُ فِي ثَلَاثَةٍ**)؛ فَابْتَدَأَهُمْ بِالمُؤَخَّرِ مِنَ الْخَيْرِ؛ تَعْجِيْلاً لَهُمْ بِالأَخْبَارِ بِفَسَادِ الْعَدْوَىٰ، وَالطِّيَرَةِ الْمُتَوَهَّمَةِ مِنْ قَوْلِهِ: (**الشُّؤْمُ فِي ثَلَاثَةٍ**).

● **وَبِالْجُمْلَةِ**؛ فَإِخْبَارُهُ بِالشُّؤْمِ أَنَّهُ يَكُوْنُ فِي هَذِهِ الثَّلَاثَةِ لَيْسَ فِيْهِ إِثْبَاتُ الطِّيَرَةِ الَّتِي نَفَاهَا، وَإِنَّمَا غَايَتُهُ: أَنَّ اللهَ- سُبْحَانَهُ- قَدْ يَخْلُقُ مِنْهَا أَعْيَانًا مَشْئُوْمَةً عَلَىٰ مَنْ قَارَبَهَا وَسَكَنَهَا، وَأَعْيَانًا مُبَارَكَةً لَا يَلْحَقُ مَنْ قَارَبَهَا مِنْهَا شُؤْمٌ وَلَا شَرٌّ، وَهَذَا كَمَا يُعْطِي- سُبْحَانَهُ- الْوَالِدَيْنِ وَلَدًا مُبَارَكًا يَرَيَانِ الْخَيْرَ عَلَىٰ وَجْهِهِ، وَيُعْطِي غَيْرَهُمَا وَلَدًا مَشْئُوْمًا نَذْلاً يَرَيَانِ الشَّرَّ عَلَىٰ وَجْهِهِ، وَكَذَلِكَ مَا يُعْطَاهُ العَبْدُ وِلَايَةً أَو غَيْرَهَا؛ فَكَذَلِكَ الدَّارُ، وَالْمَرْأَةُ، وَالْفَرَسُ.

وَاللهُ- سُبْحَانَهُ- خَالِقُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَالسُّعُوْدِ وَالنُّحُوْسِ؛ فَيَخْلُقُ بَعْضَ هَذِهِ الْأَعْيَانِ سُعُوْدًا مُبَارَكَةً، وَيَقْضِي سَعَادَةَ مَنْ قَارَنَهَا، وَحُصُوْلَ

الْيُمْنِ لَهُ، وَالْبَرَكَةِ، وَيَخْلُقُ بَعْضَ ذَلِكَ نُحُوْسًا يَتَنَحَّسُ بِهَا مَنْ قَارَنَهَا، وَكُلُّ ذَلِكَ بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ؛ كَمَا خَلَقَ سَائِرَ الْأَسْبَابِ وَرَبْطِهَا بِمُسَبَّبَاتِهَا الْمُتَضَادَّةِ وَالْمُخْتَلِفَةِ؛ فَكَمَا خَلَقَ الْمِسْكَ وَغَيْرَهُ مِنْ حَامِلِ الْأَرْوَاحِ الطَّيِّبَةِ وَلَذَّذَ بِهَا مَنْ قَارَنَهَا مِنَ النَّاسِ، وَخَلَقَ ضِدَّهَا، وَجَعَلَهَا سَبَبًا لِإِيْذَاءِ مَنْ قَارَنَهَا مِنَ النَّاسِ، وَالْفَرْقُ بَيْنَ هَذَيْنِ النَّوْعَيْنِ يُدْرَكُ بِالْحِسِّ؛ فَكَذَلِكَ فِي الدِّيَارِ وَالنِّسَاءِ وَالْخَيْلِ؛ فَهَذَا لَوْنٌ، وَالطِّيَرَةُ الشِّرْكِيَّةُ لَوْنٌ آخَرُ».

○ **وَالْخُلَاصَةُ**؛ أَنَّ هَذِهِ الثَّلَاثَ أَسْبَابٌ قَدَّرَ اللهُ بِهَا الشُّؤْمَ وَالْيُمْنَ؛ الفَرَسُ فِي جُمُوْحِهَا وَنُفُوْرِهَا وَعَدَمِ الغَزْوِ عَلَيْهَا، وَالمَرْأَةُ إِذَا كَانَتْ سَلِيْطَةَ اللِّسَانِ، أَوْ غَيْرَ وَلُوْدٍ، أَوْ غَيْرَ قَانِعَةٍ، وَالدَّارُ إِذَا كَانَتْ ضَيِّقَةً، أَوْ قَرِيْبَةً مِنْ جَارِ سُوْءٍ، أَوْ بَعِيْدَةً عَنِ المَسْجِدِ. «اللَّطَائِفُ» لابْنِ رَجَبٍ (ص: ٢٨١).

فَإِنْ يَكُنِ الشُّؤْمُ حَقًّا؛ فَهَذِهِ الثَّلَاثُ أَحَقُّ بِهِ. بِمَعْنَىٰ: أَنَّ النُّفُوْسَ يَقَعُ فِيْهَا التَّشَاؤُمُ بِهَذِهِ أَكْثَرَ مِمَّا يَقَعُ بِغَيْرِهَا. «الفَتْحُ» (٦/ ٦١).

● **فَطَرِيْقُ مَنْ وَقَعَ لَهُ ذَلِكَ**؛ فِي الفَرَسِ بَيْعُهَا، وَفِي المَرْأَةِ فِرَاقُهَا، وَفِي الدَّارِ التَّحَوُّلُ مِنْهَا؛ لأَنَّهُ مَتَىٰ اسْتَمَرَّ فِيْهَا= رُبَّمَا حَمَلَهُ ذَلِكَ عَلَىٰ اعْتِقَادِ صِحَّةِ الطِّيَرَةِ وَالتَّشَاؤُمِ. «الفَيْضُ» (٤/ ٢٩٤).

****

○ عِلاَجُ التَّشَاؤُمِ ○

○ **وَعِلاَجُ التَّشَاؤُمِ** هُوَ أَنْ يُجَدِّدَ العَبْدُ ثِقَتَهُ فِي رَبِّهِ، وَتَوْحِيْدُهُ، وَتَصْحِيْحُ إِيْمَانِهِ، وَعَقِيْدَتِهِ، وَأَنْ يَعْلَمَ أَنَّ مُدَبِّرَ الكَوْنِ كُلِّهِ هُوَ اللهُ، وَأَلاَّ يَعْتَقِدَ فِي حَجَرٍ، أَوْ شَجَرٍ، أَوْ شَمْسٍ، أَوْ قَمَرٍ، أَوْ حَيَوَانٍ، أَوْ طَيْرٍ!

وَعَلَىٰ العَبْدِ أَنْ يُحْسِنَ الظَّنَّ بِاللهِ، وَلاَ يَتَوَقَّعَ وُقُوْعَ البَلاَءِ لِحُدُوْثِ حَادِثٍ، أَوْ لِطَيَرَانِ طَائِرٍ؛ فَهَذَا مِنَ الشِّرْكِ، وَإِذَا مَا وَقَعَ فِي قَلْبِ العَبْدِ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ؛ فَلْيُحَوِّلْ قَلْبَهُ عَنْ ذَلِكَ، وَلْيَتَوَكَّلْ عَلَىٰ اللهِ.

وَقَدْ تَقَدَّمَ قَوْلُ ابْنِ مَسْعُوْدٍ رضي الله عنه:

«وَلَكِنَّ اللهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ»

[١٤] وَفِي «**المُصَنَّفِ**» لابْنِ أَبِي شَيْبَةَ، **وَ«سُنَنِ»** أَبِي دَاوُدَ **بِإِسْنَادٍ لاَ يَصِحُّ**(١) عَنْ عُرْوَةَ بْنِ عَامِرٍ الْقُرَشِيُّ قَالَ: **ذُكِرَتِ الطِّيَرَةُ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّىٰ**

---

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (٦/ ٢٢٤)، وَمِنْ طَرِيْقِهِ: أَبُوْ دَاوُدَ (٣٩١٩) مِنْ طَرِيْقِ: وَكِيعٍ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ عَامِرٍ بِهِ.

⇦ =

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَقَالَ: «أَحْسَنُهَا الْفَأْلُ وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا؛ فَإِذَا رَأَىٰ أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ؛ فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ».

[١٥] وَفِي «**مُسْنَدِ**» أَحْمَدَ **بِإِسْنَادٍ فِيْهِ ابْنُ لَهِيْعَةَ**(١) مِنْ حَدِيْثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: **قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ مِنْ**



وَأَعَلَّهُ الأَلْبَانِيُّ بِعِلَّتَيْنِ فِي «الضَّعِيْفَةِ» (٤/ ١٢٣)، وَإِنْ كَانَ الإِمَامُ النَّوَوِيُّ في «الرِّيَاضِ» (١٦٧٧) قَدْ حَكَمَ بِصِحَّةِ إِسْنَادِهِ! فَقَدْ قَالَ البَيْهَقِيُّ في «الدَّعَوَاتِ» (٢/ ٢٨٧):

«هَذَا مُرْسَلٌ».

- العِلَّةُ الأُوْلَىٰ: تَدْلِيْسُ حَبِيْبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، وَقَدْ عَنْعَنَهُ.
- العِلَّةُ الثَّانِيَةُ: الإِرْسَالُ؛ فَعُرْوَةُ بْنُ عَامِرٍ تَابِعِيٌّ؛ كَمَا رَجَّحَهُ أَبُوْحَاتِمٍ وَغَيْرُهُ.

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢/ ٢٢٠)، وَالطَّبَرَانِي فِي «المُعْجَمِ الكَبِيْرِ» (١٣/ ٢٢)، (١٤/ ٣٥)، وَابْنُ وَهْبٍ فِي «جَامِعِهِ» (٦٣٩) عَنِ ابْنِ لَهِيْعَةَ بِهِ، وَهُوَ ضَعِيْفٌ. وَمَنْ قَوَّاهُ؛ فَلأَجْلِ رِوَايَةِ ابْنِ وَهْبٍ عَنْهُ- وَهُوَ مِنَ العَبَادِلَةِ-.

وَلَهُ شَاهِدٌ عِنْدَ البَزَّارِ فِي «مُسْنَدِهِ» (٤٣٧٩) عَنْ بُرَيْدَةَ رضي الله عنه. وَفِي إِسْنَادِهِ الحَسَنُ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ، ضَعِيْفُ الحَدِيْثِ، مَعَ عِبَادَتِهِ وَفَضْلِهِ؛ كَمَا قَالَ الحَافِظُ، وَقَالَ البُخَارِيُّ: «مُنْكَرُ الحَدِيْثِ».

وَفِيْهِ- أَيْضًا-: عَمْرُو بْنُ سُفْيَانَ- هُوَ القُطَيْعِيُّ- ذَكَرَهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي «الثِّقَاتِ». **وَالرَّاجِحُ**؛ أَنَّهُ مَجْهُوْلٌ؛ كَمَا قَرَّرَهُ الأَلْبَانِيُّ رحمه الله في «الضَّعِيْفَةِ» (١٢/ ٧٦٩).

حَاجَةٍ، فَقَدْ أَشْرَكَ»، قَالُوْا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «أَنْ يَقُولَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ».

وَالظَّاهِرُ: الوَقْفُ؛ فَقَدْ رَوَىٰ ابْنُ وَهْبٍ فِي «**جَامِعِهِ**»، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «**مُصَنَّفِهِ**»[١] عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَوْقُوفًا؛ فَذَكَرَهُ.

[١٦] وَفِي زَوَائِدِ «**الزُّهْدِ**» لِعَبْدِ اللهِ، وَ«**مُصَنَّفِ**» ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ[٢] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا نَعَقَ الْغُرَابُ، قَالَ: «**لَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ**».

○ فَتبَرَّأْ مِنْ حَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ وَفَوِّضْ أَمْرَكَ إِلَىٰ اللهِ وَحْدَهُ، وَكَانَ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ كَثِيرًا مَا يَتَمَثَّلُ بِهَذِهِ الأَبْيَاتِ:

أَنَا الْفَقِيرُ إِلَىٰ رَبِّ الْبَرِيَّـــــاتِ .. أَنَا الْمُسَيْكِينُ فِي مَجْمُـــوعِ حَالَاتِي

أَنَا الظَّلُومُ لِنَفْسِي وَهِيَ ظَالِـمَتِي .. وَالْخَيْرُ إِنْ يَأْتِنَا مِنْ عِنْـــــدِهِ يَأْتِي

وَلَيْسَ لِي دُونَهُ مَوْلًىٰ يُدَبِّرُنِـــي .. وَلَا شَفِيعٌ إِذَا حَاطَتْ خَطِيـــــئَاتِي

---

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ وَهْبٍ (٦٤٠و٦٤١)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (٢٩٥٤٣،٢٦٤١١)، وَالبَيْهَقِيُّ فِي «الشُّعَبِ» (١١٨٠)، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي «الحِلْيَةِ» (٦/ ٢١) مِنْ أَوْجُهٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو بِهِ.

(٢) أَخْرَجَهُ عَبْدُ اللهِ فِي زَوَائِدِ «الزُّهْدِ» (٢٣٨)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (٢٩٨٧٢) بِسَنَدٍ شَكَّ فِيهِ غَيْلَانُ فِي شَيْخِهِ؛ فَإِنْ يَكُ مُطَرِّفًا- كَمَا قَالَ-؛ فَالإِسْنَادُ صَحِيحٌ.

إِلَّا بِإِذْنٍ مِنَ الرَّحْمَنِ خَالِقِـــــنَا .. إِلَىٰ الشَّفِيعِ كَمَا قَدْ جَاءَ فِي الْآيَاتِ
وَلَسْتُ أَمْلِكُ شَيْئًا دُونَهُ أَبَــــدًا .. وَلَا شَرِيكٌ أَنَا فِي بَعْــــضِ ذَرَّاتِ
وَلَا ظُهَيْرٌ لَهُ كَيْ يَسْتَعِينَ بِـــــهِ .. كَمَا يَكُونُ لِأَرْبَـابِ الْوِلَايَـــاتِ
وَالْفَقْرُ لِي وَصْفُ ذَاتٍ لَازِمٍ أَبَـدًا .. كَمَا الْغِنَىٰ أَبَـدًا وَصْفٌ لَهُ ذَاتِـــي
وَهَذِهِ الْحَالُ حَالُ الْخَلْقِ أَجْمَعِهِمْ .. وَكُلُّهُمْ عِنْدَهُ عَبْدٌ لَهُ آتِــــــي
فَمَنْ بَغَىٰ مَطْلَبًا مِنْ غَيْرِ خَالِقِــهِ .. فَهُوَ الْجَهُولُ الظَّلُومُ الْمُشْرِكُ الْعَاتِي
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِلْءَ الْكَوْنِ أَجْمَعِـهِ .. مَا كَانَ مِنْهُ وَمَا مِـنْ بَعْدُ قَدْ يَاتِـــي

وَكَانَ إِذَا أُثْنِي عَلَيْهِ فِي وَجْهِهِ يَقُوْلُ: «وَاللهِ إِنِّي إِلَىٰ الْآنِ أُجَدِّدُ إِسْلَامِي كُلَّ وَقْتٍ، وَمَا أَسْلَمْتُ بَعْدُ إِسْلَامًا جَيِّدًا»(١).

فَالطِّيَرَةُ بِنَفْسِهَا لاَ تُؤَثِّرُ- لاَ تَأْتِي بِالحَسَنَاتِ، وَلاَ تَدْفَعُ المَكْرُوْهَاتِ-؛ بَلِ اللهُ- وَحْدَهُ- هُوَ القَادِرُ، وَالمُدَبِّرُ، وَالمُصَرِّفُ، وَهُوَ- وَحْدَهُ- الذِي بِيَدِهِ الضُّرُّ وَالنَّفْعُ.

قَالَ- تَعَالَىٰ-: ﴿**وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَـذِهِ مِنْ عِندِ اللّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَـذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللّهِ فَمَا لِهَـؤُلاء الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ۝ مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّهِ وَمَا أَصَابَكَ**

(١) كَمَا فِي «المَدَارِجِ» لابْنِ القَيِّمِ (١/ ٥٢٤ و٥٢٥).

مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَىٰ بِاللّهِ شَهِيداً﴾ [النِّسَاءُ:٧٨- ٧٩].

وَبِمُقْتَضَىٰ هَذِهِ العَقِيْدَةِ يَجِبُ عَلَىٰ العَبْدِ أَنْ لاَ يَسْأَلَ الحَسَنَاتِ، أَوْ لاَ يَسْأَلَ دَفْعَ السَّيِّئَاتِ إِلاَّ مِنَ اللهِ- تَعَالَىٰ-.

قَالَ- تَعَالَىٰ-: **﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾** [الأَنْبِيَاءُ:٨٣].

فَالعَبْدُ المُؤْمِنُ لاَ يُعَلِّقُ قَلْبَهُ بِغَيْرِ اللهِ فِي جَلْبِ نَفْعٍ، أَوْ دَفْعِ ضُرٍّ.. وَهَذَا هُوَ التَّوْحِيْدُ، وَتِلْكَ هِيَ العَقِيْدَةُ الصَّافِيَةُ.. وَرَحِمَ اللهُ القَائِلَ:

يَا صَاحِبَ الهَمِّ إِنَّ الهَمَّ مُنْفَرِجٌ ... أَبْشِرْ بِخَيْرٍ فَإِنَّ الفَارِجَ اللهُ

وَإِذَا بُلِيْتَ فَثِقْ بِاللهِ وَارْضَ بِهِ ... إِنَّ الذِي يَكْشِفُ البَلْوَىٰ هُوَاللهُ

اللهُ يُحْدِثُ بَعْدَ العُسْرِ مَيْسَرَةً ... لاَ تَجْزَعَنَّ فَإِنَّ الخَالِقَ اللهُ

وَاللهِ مَا لَكَ غَيْرُ اللهِ مِنْ أَحَدٍ ... فَحَسْبُكَ اللهُ فِي كلٍّ لَكَ اللهُ[1]

● قَالَ- تَعَالَىٰ-: **﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدُيرٌ﴾** [الأَنْعَامُ:١٧].

(١) انْظُرِ: «المَحَاسِنَ وَالأَضْدَادَ» (ص:١١٢) للجَاحِظِ، وَ«مُعْجَمَ» ابْنِ عَسَاكِرَ (١/ ٤١٠).

○ **نَعَمْ**.. الطِّيَرَةُ لاَ تَجْلِبُ نَفْعًا، وَلاَ تَدْفَعُ ضُرًّا، وَمَنِ اعْتَقَدَها كَانَ سَفِيْهًا مُنْحَرِفًا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيْلِ.

فَإِذَا عَلَّقَ العَبْدُ قَلْبَهُ بِاللهِ وَحْدَهُ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَىٰ الطِّيَرَةِ، وَلاَ إِلَىٰ أَيِّ شَيْءٍ سِوَاهُ، كَانَ ذَلِكَ صَادِرًا حَقًّا عَنْ حَقِيْقَةِ التَّوَكُّلِ عَلَىٰ اللهِ، وَالتَّوَكُّلُ وَفَقَطْ هُوَ أَقْوَىٰ الأَسْبَابِ فِي جَلْبِ الخَيْرَاتِ، وَدَفْعِ المَكْرُوْهَاتِ.

.. فَإِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ تُعَلِّقَ قَلْبَكَ بِطَائِرٍ، أَوْ زَائِرٍ.. فَالطَّيْرُ يَجْرِي بِقَدَرٍ، وَلَنْ تُصَابَ بِمَكْرُوْهٍ إِلاَّ إِذَا أَرَادَ اللهُ؛ فَالطَّيْرُ كُلُّهَا مِلْكٌ للهِ، لاَ تَفْعَلُ شَيْئًا إِلاَّ بِإِذْنِهِ؛ فَهِي مُسَخَّرَةٌ بِإِذْنِ رَبِّهَا.. أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَهُ- تَعَالَىٰ-: ﴿**أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاء مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ اللّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ [النَّحْلُ:٧٩].

فَاللهُ هُوَ الذِي يُدَبِّرُهَا، وَيُسَخِّرُهَا، وَيَجْعَلُهَا تَذْهَبُ يَمِيْنًا وَشِمَالاً، وَلاَ عَلاَقَةَ لَهَا بِالحَوَادِثِ؛ فَلاَ تَتَرَدَّدْ فِي فِعْلِ شَيْءٍ، وَلاَ تُحْجِمْ عَنْ سَفَرٍ أَوْ عَمَلِ شَيْءٍ؛ لِشَيْءٍ تَشَاءَمْتَ مِنْهُ، أَوْ سَمِعْتَ بِهِ.

فَالعِلاَجُ أَنْ تُعْرِضَ بِقَلْبِكَ عَنْ هَذَا الخَاطِرِ وَالهَاجِسِ الذِي وَقَعَ فِي قَلْبِكَ، وَلاَ تَلْتَفِتْ إِلَيْهِ، وَلاَ تَسْتَرْسِلْ مَعَهُ.

فَإِذَا أَعْرَضتَ عَنْهُ؛ كَفَّرَ اللهُ عَنْكَ مَا وَقَعَ فِي قَلْبِكَ ابْتِدَاءً؛ لِزَوَالِهِ عَنْ قَلْبِكَ بِهَذَا الدُّعَاءِ- المُتَقَدِّمِ-، وَإِلاَّ جَعَلْتَ للشَّيطَانِ عَلَيْكَ سَبِيْلاً، وَصَيَّرْتَ لَهُ مِنكَ نَصِيْبًا.

فَالطِّيَرَةُ- كَمَا سَبَقَ- لاَ تَضُرُّ مَنْ كَرِهَهَا، وَمَضَىٰ فِي طَرِيْقِهِ غَيْرَ مُكْتَرِثٍ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ.. وَأَمَّا مَنْ لَمْ يُخْلِصْ تَوَكُّلَهُ عَلَىٰ اللهِ، وَاسْتَرْسَلَ مَعَ الشَّيْطَانِ فِي ذَلِكَ؛ فَرُبَّمَا عُوْقِبَ بِالوُقُوْعِ فِيْمَا يَكْرَهُ!!

دَعِ المَقَادِيْرَ تَجْرِي فِي أَعِنَّتِهَا ... وَلاَ تَبِيْتَنَّ إِلاَّ خَالِيَ البَالِ

مَا بَيْنَ طَرْفَةِ عَيْنٍ وَانْتِبَاهَتِهَا ... يُغَيِّرُ اللهُ مِنْ حَالٍ إِلَىٰ حَالِ[1]

****

---

(١) «لَآلِئُ اللَّآلِئِ» (ص:٢٢)، وَ«النُّجُوْمُ الزَّاهِرَةُ» (٢/ ٨٩).

○ الفَأْلُ وَالتَّفَاؤُلُ ○

○ **الفَأْلُ**: ضِدُّ الطِّيَرَةِ(١).

وَهُوَ: أَنْ يَكُوْنَ الرَّجُلُ مَرِيْضاً؛ فَيَسْمَعُ آخَرَ يَقُوْلُ: يَا سَالِمُ، أَوْ أَنْ يَكُوْنَ طَالِبَ ضَالَّةٍ؛ فَيَسْمَعُ آخَرَ يَقُوْلُ: يَا وَاجِدُ؛ فَيَقُوْلُ: تَفَاءَلْتُ بِكَذَا، وَيَتَوَجَّهُ لَهُ فِي ظَنِّهِ كَمَا سَمِعَ؛ أَنَّهُ يَبْرَأُ مِنْ مَرَضِهِ، أَوْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ(٢).

وَقَالَ الأَزْهَرِيُّ فِي «تَهْذِيْبِ اللُّغَةِ»:

«وَأَصْلُ التَّفَاؤُلِ: الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ؛ يَسْمَعُهَا عَلِيْلٌ؛ فَتُوْهِمُهُ بِسَلامَتِهِ مِنْ عِلَّتِهِ، وَكَذَلِكَ المُضِلُّ يَسْمَعُ رَجُلاً يَقُوْلُ: يَا وَاجِدُ؛ فَيَجِدُ ضَالَّتَهُ..

---

(١) «اللِّسَانُ» (٤/ ٥٠٨).

(٢) «فَتْحُ المَجِيْدِ» (ص:٣٢٩).

تَنْبِيْهٌ:

اسْمُ (الوَاجِدِ) لاَ يَثْبُتُ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ الحُسْنَىٰ. **قَالَ ابْنُ القَيِّمِ**: «فَأَمَّا الْوَاجِدُ؛ فَلَمْ تَجِئْ تَسْمِيَتُهُ بِهِ إِلَّا فِي حَدِيثِ تَعْدَادِ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَىٰ، **وَالصَّحِيحُ**: أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَعْنَاهُ صَحِيحٌ؛ فَإِنَّهُ ذُو الْوَجْدِ وَالْغِنَىٰ». «مَدَارِجُ السَّالِكِيْنَ» (٣/ ٣٨٤).

وَكَانَتِ العَرَبُ مَذْهَبَهَا فِي الفَأْلِ وَالطِّيَرَةِ وَاحِدٌ؛ فَأَثْبَتَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الفَأْلَ وَاسْتَحْسَنَهُ، وَأَبْطَلَ الطِّيَرَةَ وَنَهَىٰ عَنْهَا».

قَالَ المَاوَرْدِيُّ(١):

«**وَأَمَّا الْفَأْلُ**؛ فَفِيهِ تَقْوِيَةٌ لِلْعَزْمِ، وَبَاعِثٌ عَلَىٰ الْجِدِّ، وَمَعُونَةٌ عَلَىٰ الظَّفَرِ. فَقَدْ تَفَاءَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزَوَاتِهِ وَحُرُوبِهِ».

[١٧] وَفِي «**سُنَنِ**» أَبِي دَاوُدَ، وَ«**مُسْنَدِ**» أَحْمَدَ(٢) **بِإِسْنَادٍ فِيْهِ مُبْهَمٌ** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، **أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَ كَلِمَةً فَأَعْجَبَتْهُ؛ فَقَالَ: «أَخَذْنَا فَأْلَكَ مِنْ فِيكَ»**.

---

(١) «أَدَبُ الدُّنْيَا وَالدِّيْنِ» (ص:٤٠٢).

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُوْ دَاوُدَ (٣٩١٧)، وَأَحْمَدُ (٢/ ٣٨٨)، وَأَبُو الشَّيْخِ فِي «أَخْلاَقِ النَّبِيِّ ﷺ» (٧٩٣) مِنْ طَرِيْقِ: (عَبْدِ الأَعْلَىٰ بْنِ حَمَّادٍ، وَمُوْسَىٰ بْنِ إِسْمَاعِيْلَ، وَعَفَّانَ) ثَلاَثَتُهُمْ عَنْ وُهَيْبٍ، عَنْ سُهَيلٍ، عَنْ رَجُلٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوْعـًا. وَخَالَفَ هَؤُلاَءِ الثَّلاَثَةَ ثَلاَثَةٌ آخَرُوْنَ؛ لَكِنْ هُنَاكَ ضَعْفٌ فِي طَرِيْقَيْنِ، وَالثَّالِثُ- وَهُوَ العَبَّاسُ النَّرْسِيُّ- وَهُوَ ثِقَةٌ؛ رَوَاهُ مَرَّةً عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ مَرْفُوْعـًا، وَمَرَّةً عَنْ سُهَيْلٍ عَنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ. رَاجِعْ: «عَمَلَ اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ» لاِبْنِ السُّنِّيِّ (٢٩١)، وَ«أَخْلاَقِ النَّبِيِّ ﷺ» (٧٩١و٧٩٢)، وَالبَيْهَقِيَّ فِي «الشُّعَبِ» (٢/ ٦١).

وَالذِي يَتَرَجَّحُ- لَدَيَّ-: رِوَايَةُ سُهَيلٍ، عَنْ رَجُلٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ مَرْفُوْعـًا. **وَعَلَيْهِ**؛ فَالإِسْنَادُ ضَعِيْفٌ؛ لإِبْهَامِ الرَّجُلِ الرَّاوِي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، وَلَهُ شَوَاهِدُ لاَ تُرَقِّيْهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

فَيَنْبَغِي لِمَنْ تَفَاءَلَ أَنْ يَتَأَوَّلَ الفَأْلَ بِأَحْسَنِ تَأْوِيلاَتِهِ، وَلاَ يَجْعَلَ لِسُوْءِ الظَّنِّ عَلَىٰ نَفْسِهِ سَبِيْلاً.

[١٨] وَفِي «**سُنَنِ**» التِّرْمِذِيِّ(١) **بِإِسْنَادٍ أُعِلَّ بِالإِرْسَالِ** مِنْ حَدِيْثِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ؛ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**كَانَ يُعْجِبُهُ إِذَا خَرَجَ لِحَاجَتِهِ أَنْ يَسْمَعَ: يَا رَاشِدُ، يَا نَجِيحُ**».

---

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (بِرَقَمْ:١٦١٦)، والطَّحَاوِيُّ فِي «شَرْحِ المُشْكِلِ» (١٨٤٨) مِنْ طَرِيْقِ: مُحَمَّدِ بْنُ رَافِعٍ النَّيْسَابُورِيِّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَمْرٍو أَبُو عَامِرٍ الْعَقَدِيُّ، حَدَّثَنَا حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ حُمَيْدٍ، عَنْ أَنَسٍ بِهِ.

قَالَ التِّرْمِذِيُّ:

«هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ».

وَقَالَ الطَّبَرَانِيُّ فِي («الأَوْسَطِ» ٤١٨١):

«لَمْ يَرْوِ هَذا الحَديث عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ إِلاَّ أَبُو عَامِرٍ، تَفَرَّدَ به مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ».

قُلْتُ: وَأَعَلَّهُ غَيْرُ وَاحِدٍ بِالإِرْسَالِ؛ فَقَالَ الحَافِظُ- عَقِبَ كَلاَمِ التِّرْمِذِيِّ عَلَيْهِ- فِي («النُّكَتِ الظِّرَافِ»- تُحْفَة١/ ٣٥٦): «قُلْتُ: بَلْ هُوَ مَعْلُوْلٌ، ذَكَرَ الحَاكِمُ- فِي تَرْجَمَةِ مُحَمَّدِ بْنِ رَافِعٍ مِنْ «تَارِيْخِ نَيْسَابُوْرٍ»-؛ أَنَّهُ سَأَلَ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيْلَ عَنْهُ؛ فَقَالَ: وَجَدْتُ لَهُ عِلَّةً، حُمَيْدٌ، عَنْ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ المُزَنِيِّ، يَعْنِي: أَنَّهُ مُرْسَلٌ، وَانْقَلَبَ. وَذَكَرَ فِيْهِ- أَيْضًا- عَنْ أَحْمَدَ بْنِ سَلَمَةَ، قَالَ: كُنْتُ أَنَا وَمُسْلِمٌ عِنْدَ عَلِيِّ بْنِ نَصْرٍ الجَهْضَمِيِّ؛ فَقَالَ مُسْلِمٌ: لاَ أَعْلَمُ اليَوْمَ أَحَدًا أَعْلَمَ بِحَدِيْثِ أَهْلِ البَصْرَةِ مِنْ عَلِيِّ بْنِ نَصْرٍ، قَالَ أَحْمَدُ: فَقُلْتُ لِعَلِيٍّ: تَعرِفُ؟ فَذَكَرْتُ لَهُ هَذَا الحَدِيْثَ؛ فَتَعَجَّبَ؛ فَقَالَ لَهُ مُسْلِمٌ: إِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ رَافِعٍ ثِقَةٌ مَأْمُوْنٌ صَحِيْحُ الكِتَابِ».

⇦=

وَقَدْ سَاقَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي بَابِ مَا جَاءَ فِي الطِّيَرَةِ- بَعْدَ حَدِيْثِ: (**لاَ عَدْوَىٰ وَلاَ طِيَرَةَ، وَأُحِبُّ الفَأْلَ**)-.

.. لَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعْجِبُهُ الفَأْلُ، وَفَسَّرَ ﷺ الفَأْلَ حِيْنَ سَأَلَهُ الصَّحَابَةُ عَنْهُ؛ فَقَالَ: «**الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ**».

[١٩] فَفِي «**الصَّحِيْحَيْنِ**»(١) مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: **سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لاَ طِيَرَةَ، وَخَيْرُهَا الفَأْلُ» قَالُوا: وَمَا الفَأْلُ؟ قَالَ: «الكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ»**.



فَقَدْ رَوَاهُ الحَسَنُ بْنُ مُوسَىٰ الأَشْيَبُ فِي «حَدِيْثِهِ» (٥٧): حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ، حُمَيْدٍ، عَنْ، بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْمُزَنِيِّ، **أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «كَانَ إِذَا تَوَجَّهَ لِحَاجَةٍ يُحِبُّ أَنْ يَسْمَعَ: يَا نَجِيحُ يَا رَاشِدُ يَا مُبَارَكُ»**.

وَتَابَعَهُ: أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ، حَدَّثنا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، بِهِ.

أَخْرَجَهُ الحَارِثُ فِي «مُسْنَدِهِ» («بُغْيَةِ البَاحِثِ» ٨٠٣)

(١) أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ (٥٧٥٤و٥٧٥٥)، وَمُسْلِمٌ (٢٢٢٣).

● **قَالَ ابْنُ القَيِّمِ فِي «مِفْتَاحِ دَارِ السَّعَادَةِ»** (٢/ ٢٥٤):

«فَأَبْطَلَ ﷺ الطِّيَرَة، وَأَخْبَرَ أَنَّ الفَأْلَ مِنْهَا، وَلكنه خَيرُهَا؛ فَفَصَلَ بَيْنَ الفَأْلِ وَالطِّيَرَةِ؛ لِمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الامْتِيَازِ وَالتَّضَادِ، وَنَفْعِ أَحَدِهِمَا وَمَضَرَّةِ الآخَرِ، وَنَظِيْرُ هَذَا؛ مَنْعُهُ مِنَ الرِّقَاءِ بِالشِّرْكِ وَإِذْنِهِ فِي الرُّقْيَةِ إِذَا لَمْ تَكُنْ شِرْكًا؛ لِمَا فِيهَا مِنَ الْمَنْفَعَةِ الخَالِيَةِ عَنِ الْمَفْسَدَةِ».

[٢٠] وَفِي «**الصَّحِيْحَيْنِ**»(١) مِنْ طَرِيْقِ: قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، **أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: «**لَا عَدْوَىٰ، وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ: الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ، الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ**».

○ **وَلِمُسْلِمٍ**(٢) مِنْ رِوَايَةِ: مُحَمَّدِ بْنِ سِيْرِيْنَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: **قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**لَا عَدْوَىٰ، وَلَا طِيَرَةَ، وَأُحِبُّ الْفَأْلَ الصَّالِحَ**».

قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ(٣):

«جَعَلَ اللهُ فِي فِطَرِ النَّاسِ مَحَبَّةَ الكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ، وَالأُنْسَ بِهَا؛ كَمَا جَعَلَ فِيْهِمُ الارْتِيَاحَ للبُشْرَىٰ، وَالمَنْظَرَ الأَنِيْقَ، وَقَدْ يِمُرُّ الرَّجُلُ بِالمَاءِ

---

(١) أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ (٥٧٥٦و٥٧٧٦)، وَمُسْلِمٌ (٢٢٢٤)- وَاللَّفْظُ لَهُ-.

(٢) (٢٢٢٣).

● **قَالَ النَّوَوِيُّ**:

«قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَإِنَّمَا أُحِبُّ الْفَأْلَ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَمَلَ فَائِدَةَ اللهِ- تَعَالَىٰ- وَفَضْلَهُ عِنْدَ سَبَبٍ قَوِيٍّ أَوْ ضَعِيفٍ؛ فَهُوَ عَلَىٰ خَيْرٍ فِي الْحَالِ، وَإِنْ غَلِطَ فِي جِهَةِ الرَّجَاءِ؛ فَالرَّجَاءُ لَهُ خَيْرٌ، وَأَمَّا إِذَا قَطَعَ رَجَاءَهُ وَأَمَلَهُ مِنَ اللهِ- تَعَالَىٰ-؛ فَإِنَّ ذَلِكَ شَرٌّ لَهُ.

وَالطِّيَرَةُ فِيهَا سُوءُ الظَّنِّ، وَتَوَقُّعُ الْبَلَاءِ». «شَرْحُ صَحِيْحِ مُسْلِمٍ» (١٤/ ٢٢٠،٢١٩).

(٣) كَمَا فِي «الفَتْحِ» (١٠/ ٢١٥)، وَهُوَ فِي «شَرْحِ ابْنِ بَطَّالٍ» (٩/ ٤٣٧).

الصَّافِي؛ فَيُعْجِبُهُ وَهُوَ لاَ يَشْرَبُهُ، وَبِالرَّوْضَةِ المَنْثُوْرَةِ؛ فَتَسُرُّهُ وَهِيَ لاَ تَنْفَعُهُ».

فَلَيْسَ الفَأْلُ مِنَ الطِّيَرَةِ الَّتِي نَهَىٰ عَنْهَا رَسُوْلُ اللهِ ﷺ؛ **لأَنَّ التَّفَاؤُلَ**: انْشِرَاحُ صَدْرِ الإِنْسَانِ، وَإِحْسَانُهُ الظَّنَّ، وَتَوَقُّعُ الخَيْرِ بِمَا يَسْمَعُهُ وَيَسُرُّهُ مِنَ الكَلِمِ الصَّالِحِ.

❍ قَالَ ابْنُ القَيِّمِ(١):

«وَلَيْسَ فِي الإِعْجَابِ بِالفَأْلِ وَمَحَبَّتِهِ شَيْءٌ مِنَ الشِّرْكِ؛ بَلْ ذَلِكَ إِبَانَةٌ عَنْ مُقْتَضَىٰ الطَّبِيْعَةِ، وَمُوْجِبِ الْفِطْرَةِ الإِنْسَانِيَّةِ الَّتِي تَمِيْلُ إِلَىٰ مَا يُلاَئِمُهَا، وَيُوَافِقُهَا مِمَّا يَنْفَعُهَا..؛ فَرَسُوْلُ اللهِ ﷺ كَانَ يُحِبُّ الْحَلْوَاءَ وَالْعَسَلَ، وَيُحِبُّ كَذَا وَكَذَا.. يُحِبُّ كُلَّ كَمَالٍ وَخَيْرٍ، وَمَا يُفْضِي إِلَيْهِمَا.. وَاللهُ سُبْحَانَهُ قَدْ جَعَلَ فِي غَرَائِزِ النَّاسِ الإِعْجَابَ بِسَمَاعِ الاسْمِ الْحَسَنِ وَمَحَبَّتِهِ، وَمَيْلِ نُفُوْسِهِمْ إِلَيْهِ، وَكَذَلِكَ جَعَلَ فِيْهَا الارْتِيَاحَ وَالاسْتِبْشَارَ وَالسُّرُوْرَ بِاسْمِ السَّلاَمِ وَالفَلاَحِ وَالنَّجَاحِ وَالتَّهْنِئَةِ وَالبُشْرَىٰ وَالفَوْزِ وَالظَّفَرِ وَالْغُنْمِ وَالرِّبْحِ.. وَأَمْثَالِهَا؛ فَإِذَا قَرَعَتْ هَذِهِ الأَسْمَاءُ الأَسْمَاعَ

---

(١) «مِفْتَاحُ دَارِ السَّعَادَةِ» (٢/ ٢٤٤- بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ-).

اسْتَبْشَرَتْ بِهَا النَّفْسُ، وَانْشَرَحَ لَهَا الصَّدْرُ، وَقَوِيَ بِهَا الْقَلْبُ، وَإِذَا سَمِعَتْ أَضْدَادَهَا أَوْجَبَ لَهَا ضِدَّ هَذِهِ الْحَالِ؛ فَأَحْزَنَهَا ذَلِكَ، وَأَثَارَ لَهَا خَوْفًا وَطِيَرَةً وَانْكِمَاشًا وَانْقِبَاضًا عَمَّا قَصَدَتْ لَهُ، وَعَزَمَتْ عَلَيْهِ؛ فَأَوْرَثَ لَهَا ذَلِكَ ضَرَرًا فِي الدُّنْيَا، وَنَقْصًا فِي الْإِيمَانِ، وَمُقَارَفَةً لِلشِّرْكِ».

○ **فَالتَّفَاؤُلُ** مِنْ طَرِيقِ حُسْنِ الظَّنِّ بِاللهِ، وَالتَّشَاؤُمُ سُوءُ ظَنٍّ بِاللهِ بِغَيْرِ سَبَبٍ مُحَقَّقٍ، وَكَذَا تَوَقُّعٌ لِلْبَلَاءِ، وَالْمُؤْمِنُ مَأْمُورٌ بِحُسْنِ الظَّنِّ بِاللهِ عَلَىٰ فِي كُلِّ حَالٍ(١).

○ **وَأُذَكِّرُ؛ فَأَقُولُ:**

«الطِّيَرَةُ الْمُحَرَّمَةُ: مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ؛ تِلْكَ الَّتِي يَتَفَاعَلُ الْعَبْدُ مَعَهَا؛ بَلْ وَتَحْمِلُهُ عَلَىٰ الْمُضِيِّ عَلَىٰ مَا أَرَادَهُ، وَتَرُدُّهُ وَتَمْنَعُهُ مِنَ الْمُضِيِّ فِيهِ كَذَلِكَ، وَأَمَّا الْفَأْلُ الَّذِي كَانَ يُحِبُّهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِيهِ نَوْعُ بِشَارَةٍ؛ فَيُسَرُّ بِهِ الْعَبْدُ، وَلَكِنَّهُ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ لَا يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ إِنِ اعْتَمَدَ عَلَيْهِ وَكَانَ سَبَبًا لِإِقْدَامِهِ؛ فَهَذَا حُكْمُهُ حُكْمُ الطِّيَرَةِ. وَإِنْ لَمْ يَعْتَمِدْ عَلَيْهِ؛ لَكِنَّهُ فَرِحَ وَنَشِطَ، وَازْدَادَ نَشَاطًا فِي طَلَبِهِ؛ فَهَذَا مِنَ الْفَأْلِ الْمَحْمُودِ(٢)،

(١) قَالَهُ الْحَلِيمِيُّ؛ كَمَا فِي «الْفَتْحِ» (١٠/ ٢١٥).

(٢) «الْقَوْلُ الْمُفِيدُ» لِابْنِ عُثَيْمِينَ (١/ ٤٦٦-٤٦٧).

بِخِلاَفِ الطِّيَرَةِ التِي تُمْضِيْهِ وَتَرُدُّهُ؛ فَهَذَا الأَخِيْرُ للقَلْبِ عَلَيْهِ نَوْعُ اعْتِمَادٍ؛ فَافْهَمِ الفَرَقَ- وَفَّقَنِيَ اللهُ وَإِيَّاكَ-(١)».

قَالَ الحَافِظُ فِي «الفَتْحِ»(٢):

«الفَأْلُ الحَسَنُ شَرْطُهُ: أَلاَّ يَقْصِدَ إِلَيْهِ؛ فَإِنْ قَصَدَ لَمْ يَكُنْ حَسَناً؛ بَلْ يَصِيْرُ مِنَ الطِّيَرَةِ».

وَقَالَ ابْنُ عُثَيْمِيْنَ رَحِمَهُ اللهُ:

«الفَأْلُ شَبِيْهٌ بِالطِّيَرَةِ مِنْ حَيْثُ «**الإِقْدَامُ**»؛ الفَأْلُ يُشْبِهُ الطِّيَرَةَ مِنْ هَذَا الوَجْهِ أَنَّ الإِنْسَانَ يَزْدَادُ إِقْدَاماً وَتَوَجُّهاً نَحْوَ مَا يُرِيْدُ؛ لَكِنَّ الفَرْقَ الذِي بَيْنَهُمَا؛ أَنَّ الطِّيَرَةَ تُوْجِبُ تَعَلُّقَ الإِنْسَانِ بِالمُتَطَيَّرِ بِهِ، وَتَجْعَلُهُ يُحْجِمُ عَمَّا هَمَّ بِفِعْلِهِ مِنْ أَجْلِ مَا رَآهُ وَسَمِعَهُ أَوْ عَلِمَهُ؛ فَالطِّيَرَةُ أَثَّرَتْ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ قَلْبِهِ، وَأَضْعَفَتْ تَوَكُّلَهُ وَثِقَتَهُ بِرَبِّهِ؛ لَكِنَّ الفَأْلَ إِنَّمَا يَزِيْدُ الإِنْسَانَ نَشَاطاً وَثَبَاتاً وَقُوَّةً، وَهَذَا أَمْرٌ مَحْبُوْبٌ»(٣).

---

(١) «فَتْحُ المَجِيْدِ» (ص:٣٣٦).

(٢) «الفَتْحُ» (١٠/ ٢١٥ بِتَصَرُّفٍ).

(٣) «القَوْلُ المُفِيْدُ» (١/ ٤٥٨).

وَقَالَ- أَيْضًا-(١):

«إِنَّ الكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ تُدْخِلُ السُّرُوْرَ عَلَىٰ النَّفْسِ، وَتَشْرَحُ الصَّدْرَ، وَمِنْ ذَلِكَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ فِي غَزْوَةِ الحُدَيْبِيَةِ كَانَتْ قُرَيْشٌ تُرَاسِلُهُ، فَأَرْسَلُوْا إِلَيْهِ فِي النِّهَايَةِ سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو؛ فَلَمَّا أَقْبَلَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **هَذَا سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، وَمَا أُرَاهُ إِلاَّ قَدْ سَهُلَ أَمْرُكُمْ**(٢)، أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا، **فَتَفَاءَلَ بِالاسْمِ**؛ فَالتَّفَاؤُلُ خَيْرٌ؛ لأَنَّهُ يَشْرَحُ الصَّدْرَ، وَيُفْرِحُ القَلْبَ، وَيُنَشِّطُ اللِّسَانَ، وَيُعْزِّمُ عَلَىٰ الخَيْرِ، أَمَّا التَّشَاؤُمُ؛ فَإِنَّهُ بِخِلاَفِ ذَلِكَ».

---

(١) «شَرْحُ الرِّيَاضِ» (٤/ ٢٠٦).

(٢) عِنْدَ البُخَارِيِّ (٢٧٣١) مِنْ طَرِيْقِ: مَعْمَرٍ عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ عِكْرِمَةَ مُرْسَلاً، وَلَفْظُهُ: «**لَقَدْ سَهُلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ**»، وَلَهُ شَوَاهِدُ فِي أَسَانِيْدِهَا مَقَالٌ. وَانْظُرِ: («الفَتْحَ»٥/ ٣٤٢)، و(«أَنِيْسَ السَّارِيِّ»٥/ ٣٧٧٦).

● **قَالَ ابْنُ الجَوْزِيِّ فِي** «**كَشْفِ المُشْكِلِ**» (٤/ ٥٥):

«وَقَوْلُهُ: (**قَدْ سَهُلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ**) دَلِيْلٌ عَلَىٰ اسْتِحْبَابِ التَّفَاؤُلِ بِالِاسْمِ الْحَسَنِ، وَإِنَّمَا يُكْرَهُ التَّشَاؤُمُ، وَهُوَ التَّطَيُّرُ».

● **قَالَ أَبُو الوَلِيْدِ البَاجِيُّ**:

«وَلَا يَجْرِي هَذَا مَجْرَىٰ الطِّيَرَةِ؛ لِأَنَّ الْفَأْلَ إِنَّمَا هُوَ لِاسْتِحْسَانِ اسْمٍ يَتَضَمَّنُ نَجَاحًا أَوْ مَسَرَّةً أَوْ تَسْهِيلًا فَتَطِيبُ النَّفْسُ لِذَلِكَ، وَيَقْوَىٰ الْعَزْمُ عَلَىٰ مَا قَدْ عَزَمَ عَلَيْهِ». «المُنْتَقَىٰ شَرْحُ المُوَطَّأ» (٧/ ٢٩٦).

وَلَيْسَ مِنَ التَّفَاؤُلِ: انْطِلاَقُ الطَّيْرِ يَمِيْنًا؛ فَهَذَا لَيْسَ تَفَاؤُلاً صَحِيْحًا؛ لأَنَّهُ لاَ وَجْهَ لَهُ؛ إِذِ الطَّيْرُ إِذَا طَارَ؛ فَإِنَّهُ يَذْهَبُ إِلَىٰ الذِي يَرَىٰ أَنَّهُ وِجْهَتُهُ، فَإِذَا اعْتَمَدَ العَبْدُ عَلَىٰ حَرَكَةِ الطَّيْرِ؛ فَقَدِ اعْتَمَدَ عَلَىٰ سَبَبٍ لَمْ يَجْعَلْهُ الشَّرْعُ سَبَبًا مَشْرُوْعًا(١).

فَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ تُعْجِبُهُ ﷺ؛ لِمَا فِيْهَا مِنْ إِدْخَالِ السُّرُوْرِ عَلَىٰ النَّفْسِ وَالانْبِسَاطِ وَالمُضِيِّ قُدُمًا؛ لِمَا يَسْعَىٰ إِلَيْهِ الإِنْسَانُ.. الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ تُشَجِّعُهُ وَتَزِيْدُهُ طُمَأْنِيْنَةً وَإِقْدَامًا وَإِقْبَالاً.. الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ تَجْلِبُ السَّعَادَةَ إِلَىٰ النَّفْسِ وَإِلَىٰ القَلْبِ.. وَهِيَ تَرْوِيْحٌ لِلمُؤْمِنِ وَسُرُوْرٌ لَهُ؛ فَهِيَ تَفْتَحُ القَلْبَ، وَتَكُوْنُ سَبَبًا لِخَيْرَاتٍ عَظِيْمَةٍ. وَتَفْسِيْرُ الفَأْلِ بِالكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ، إِنَّمَا هُوَ عَلَىٰ سَبِيْلِ المِثَالِ لاَ عَلَىٰ سَبِيْلِ الحَصْرِ؛ لأَنَّ الفَأْلَ أَعَمُّ، وَهُوَ كُلُّ مَا يُنَشِّطُ الإِنْسَانَ عَلَىٰ شَيْءٍ مَحْمُوْدٍ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ مَرْئِيٍّ أَوْ مَسْمُوْعٍ(٢).

---

(١) «القَوْلُ المُفِيْدُ» (١/ ٤٦٤).

(٢) «القَوْلُ المُفِيْدُ» (١/ ٤٦٨).

● **قَالَ أَبُو الوَلِيْدِ البَاجِيُّ:**

«الْفَأْلُ: الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ، وَهِيَ الَّتِي تُذْكَرُ بِمَا يَرْجُوهُ مِنَ الْخَيْرِ؛ فَتُسَرُّ بِهِ النَّفْسَ، وَرُبَّمَا كَانَ بِمَعْنَىٰ الْبِشَارَةِ بِمَا قَدَّرَهُ اللهُ- عَزَّ وَجَلَّ- مِنَ الْخَيْرِ». «المُنْتَقَىٰ شَرْحُ المُوَطَّأِ» (٧/ ٢٩٥).

[٢١] رَوَىٰ **أَبُوْ دَاوُدَ**(١) مِنْ حَدِيْثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ: «**أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ لَا يَتَطَيَّرُ مِنْ شَيْءٍ، وَكَانَ إِذَا بَعَثَ عَامِلًا سَأَلَ عَنِ اسْمِهِ؛ فَإِذَا أَعْجَبَهُ اسْمُهُ فَرِحَ بِهِ وَرُئِيَ بِشْرُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، وَإِنْ كَرِهَ اسْمَهُ رُئِيَ كَرَاهِيَةُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، وَإِذَا دَخَلَ قَرْيَةً سَأَلَ عَنِ اسْمِهَا؛ فَإِنْ أَعْجَبَهُ اسْمُهَا فَرِحَ وَرُئِيَ بِشْرُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، وَإِنْ كَرِهَ اسْمَهَا رُئِيَ كَرَاهِيَةُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ**».

فَكَانَ ﷺ يَتفَاءَلُ بِالاسْمِ الحَسَنِ.

○ **قَالَ الإِمَامُ البَغَوِيُّ** رَحِمَهُ اللهُ(٢):

«وَيَنْبَغِي لِلإِنْسَانِ أَنْ يَخْتَارَ لِوَلَدِهِ وَخَدَمِهِ الأَسْمَاءَ الْحَسَنَةَ؛ فَإِنَّ الأَسْمَاءَ الْمَكْرُوهَةَ قَدْ تُوَافِقُ الْقَدَرَ، رُوِيَ عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ سَعِيدٍ، **أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، قَالَ لِرَجُلٍ: مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: جَمْرَةُ، قَالَ: ابْنُ مِنْ؟ قَالَ: ابْنُ شِهَابٍ، قَالَ: مِمَّنْ، قَالَ: مِنَ الْحُرَقَةِ، قَالَ: أَيْنَ مَسْكَنُكَ؟ قَالَ: بِحَرَّةِ**

---

(١) فِي «السُّنَنِ» (برقم:٣٩٢١٩)، وَأَحْمَدُ (٥/ ٣٤٧) بِإِسْنَادٍ حَسَّنَهُ الحَافِظُ فِي «الفَتْحِ» (١٠/ ٢١٥)، وَلَكِنْ؛ قَالَ البُخَارِيُّ فِي «التَّارِيْخِ الكَبِيْرِ»: «وَلاَ يُعْرَفُ سَمَاعُ قَتَادَةَ مِن ابْنِ بَرَيْدَةَ». وَرَاجِعْ: «جَامِعَ التَّحْصِيْلِ» (ص:٣٨٩).

(٢) «شَرْحُ السُّنَّةِ» (١٢/ ١٧٧).

النَّارِ(١)، قَالَ: بِأَيِّهَا؟ قَالَ: بِذَاتِ لَظًىٰ، فَقَالَ عُمَرُ: أَدْرِكْ أَهْلَكَ، فَقَدِ احْتَرَقُوا؛ فَكَانَ كَمَا قَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ(٢)».

● **قَالَ عَبْدِ البَرِّ فِي «الاسْتِذْكَارِ» (٨/ ٥١٤):**

«لاَ أَدْرِي مَا أَقُوْلُ فِي هَذَا؛ إِلاَّ أَنَّهُ قَدْ ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: سَيَكُوْنُ بَعْدِي مُحَدَّثُوْنَ؛ فَإِنْ يَكُنْ؛ فَعُمَرُ»(٣).

****

(١) مَوْضِعٌ بِنَاحِيَةِ حُنَيْنٍ.

(٢) فِي أَسَانِيْدِهِ مَقَالٌ؛ أَخْرَجَهُ مَالِكٌ فِي «المُوَطَّأِ» (١٧٥٣) **بِإِسْنَادٍ مُنْقَطِعٍ** عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ سَعِيدٍ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ.

وَرَوَاهُ ابْنُ بَشْرَانَ فِي «أَمَالِيْهِ» مَوْصُوْلاً مِنْ طَرِيْقِ: عِصْمَةُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُوْسَىٰ بْنِ عُقْبَةَ عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ؛ كَمَا فِي «كَنْزِ العُمَّالِ»، وَعِصْمَةُ بْنُ مُحَمَّدٍ؛ قَالَ ابْنُ مَعِيْنٍ: كَذَّابٌ.

وَرَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ (١١/ ٤٣) (٢٠٧٧٤) مِنْ طَرِيْقِ: مَعْمَرٍ، عَن رَجُلٍ، عَنِ ابنِ المُسَيَّبِ قَالَ: قَالَ عُمَرُ.. فَذَكَرَ نَحْوَهُ. وَسَمَّىٰ الحَافِظُ الرَّجُلَ المُبْهَمَ- فِي رِوَايَةِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ-: الزُّهْرِيَّ! وَلَهُ عَنْ عُمَرَ طُرُقٌ أُخْرَىٰ؛ كَمَا فِي «الإِصَابَةِ» لابْنِ حَجَرٍ (٢/ ٢٩٤)، وَ«مِفْتَاحِ دَارِ السَّعَادَةِ» لابْنِ القَيِّمِ (٢/ ٢٣٦).

(٣) وَرَاجِعْ: «مُعْجَمَ المَنَاهِي اللَّفْظِيَّةِ» للعَلاَّمَةِ بَكْرٍ أَبُوْ زَيْدٍ (١/ ٤٥٥و٤٥٦).

بِشَارَةٌ عَظِيْمَةٌ لِمَنْ حَقَّقَ التَّوَكُّلَ الحَقِيْقِيَّ

أَخْتِمُ بِهَذِهِ البِشَارَةِ العَظِيْمَةِ لِمَنْ حَقَّقَ التَّوَكُّلَ الحَقِيْقِيَّ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَىٰ شَيْءٍ مِنَ الطِّيَرَةِ وَالتَّشَاؤُمِ؛ بَلْ قَطَعَ هَاجِسَهَا مِنْ قَبْلِ اسْتِقْرَارِهَا، وَبَادَرَ خَوَاطِرَهَا مِنْ قَبْلِ اسْتِمْكَانِهَا، أُهْدِيْ لَهُ هَذَا الحَدِيْثَ الرَّقْرَاقَ المَاتِعَ الذِي بَشَّرَ بِهِ الإِمَامُ الأَعْظَمُ، وَالنَّبِيُّ الأَكْرَمُ، سَيِّدُ المُرْسَلِيْنَ، وَإِمَامُ المُوَحِّدِيْنَ، وَقُدْوَةُ المُتَّقِيْنَ، مُحَمَّدٌ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

[٢٢] فَفِي «**الصَّحِيْحَيْنِ**»(١) مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: **خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا؛ فَقَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلاَنِ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، وَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فَرَجَوْتُ أَنْ تَكُونَ أُمَّتِي، فَقِيلَ: هَذَا مُوسَىٰ وَقَوْمُهُ، ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ؛ فَقِيلَ لِي: انْظُرْ هَكَذَا وَهَكَذَا؛ فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فَقِيلَ: هَؤُلاَءِ أُمَّتُكَ، وَمَعَ هَؤُلاَءِ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ**

(١) أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ (برقم:٥٧٥٢)، وَمُسْلِمٌ (٢٢٠).

بِغَيْرِ حِسَابٍ»؛ فَتَفَرَّقَ النَّاسُ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ، فَتَذَاكَرَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَقَالُوا: أَمَّا نَحْنُ فَوُلِدْنَا فِي الشِّرْكِ، وَلَكِنَّا آمَنَّا بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَلَكِنْ هَؤُلاَءِ هُمْ أَبْنَاؤُنَا، فَبَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «هُمُ الَّذِينَ لاَ يَتَطَيَّرُونَ(١)، وَلاَ يَسْتَرْقُونَ، وَلاَ يَكْتَوُونَ، وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ(٢)»؛ فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ»؛ فَقَامَ آخَرُ؛ فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا؟ فَقَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَاشَةُ».

****

(١) الْمُرَادُ: أَنَّهُمْ لَا يَتَشَاءَمُونَ كَمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ! قَالَهُ الحَافِظُ.

(٢) قَوْلُهُ: (وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْجُمْلَةُ مُفَسِّرَةً لِمَا تَقَدَّمَ مِنْ تَرْكِ الِاسْتِرْقَاءِ وَالِاكْتِوَاءِ وَالطِّيَرَةِ.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْعَامِّ بَعْدَ الْخَاصِّ؛ لِأَنَّ صِفَةَ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا صِفَةٌ خَاصَّةٌ مِنَ التَّوَكُّلِ، وَهُوَ أَعَمُّ مِنْ ذَلِكَ؛ قَالَهُ الحَافِظُ.

خَاتِمَةٌ

.. **أَيُّهَا العَبْدُ؛**

خُذْ تِلْكَ النَّسَائِمَ، وَتَفَاءَلَ، وَلاَ تَتَشَاءَمْ، وَفَوِّضْ أَمْرَكَ إِلَىٰ خَالِقِكَ، وَاجْعَلَ ثِقَتَكَ فِي رَازِقِكَ، وَلاَ تَقْلَقْ، وَلاَ تَحْزَنْ؛ فَالأُمُوْرُ تَجْرِي بِمَقَادِيْرَ؛ فَاعْتَصِمْ بِاللهِ هُوَ مَوْلاَكَ؛ فَنِعْمَ المَوْلَىٰ، وَنِعْمَ النَّصِيْرُ.

أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَ عَمَلَنَا صَالِحاً، وَلِوَجْهِهِ خَالِصاً، وَلاَ يَجْعَلَ لأَحَدٍ فِيْهِ شَيْئاً، وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

كَتَبَهُ / أَبُوْ عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ العَفِيْفِيِّ

مِنْيَةُ سَمَّنُّوْدَ/ دَقَهْلِيَّةُ/ مِصْرُ

فهرس

تَمَّ بِحَمْدِ اللهِ